رسالة من الرجل الميت

رواية

إبراهيم عبدالجليل الإمام

عيسى أبو يوسف اللموشي

رسالة من الرجل الميت

رواية

إبراهيم عبد الجليل الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من الرجل الميت - ابراهيم عبدالجليل الإمام - رواية

الطبعة الأولى 2015 م .

الغلاف تصميم الفنان عبد المنعم الموفق

طباعة : الدار العالمية – الاسكندرية

رقم الايداع المحلي : 345/ 2012 دار الكتب الوطنية

الرقم الدولي الموحد : ردمك 978-9959-1-1012-1 ISBN

طباعة ونشر : الدار العالمية – الاسكندرية - مصر

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

هاتف : 9090509 -9096379 -9097074

بريد مصور : 9097074

البريد الالكتروني : nat_lib_libyahotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كل من يحاول نسخ أو تسجيل أو تصوير أو طبع أو نشر أي جزء من هذا الكتاب دون إذن المؤلف يعرض نفسه للمساءلة القانونية .

عيسى ابو يوسف العويشي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء :

إلى روح بابو جليل

أسأل الله ان يتغمدك بواسع رحمته .

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

حسن ابو يوسف الحويشي

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

رسالة من الرجل الميت

زائر

وقف الشاب ذو البشرة البرونزية ، والقوام الرشيق من مقعده في صالة الانتظار بعد أن انتهى من شرب قهوته الصباحية ، خطى بخطوات ثابتة وبطيئة نحو المنصة التي يقف عليها عامل الاستعلامات بالفندق الذي ينزل فيه ، وقف في مواجهة موظف الاستقبال ، انتظر حتى انتهى الموظف من مكالمة كان يجريها على خط الهاتف ، بدا له أنها مع أحد زبائن الفندق الكثيرين في ذلك الوقت من العام . فقد كانت غرف الفندق محجوزة بكاملها ، فهذا موسم قدوم السياح من كل حدب وصوب في أواخر فصل الصيف وبداية فصل الخريف من كل عام ، حيث تتمتع الواحة بطقس معتدل في حرارته القاسية صيفا وقبل أن تشتد برودته شتاءا . ما أن أنهى موظف الاستقبال مكالمته حتى ابتسم في وجه الشاب كعادة موظفي الاستقبال في كل مكان من العالم ، سأله بمودة ظاهرة :

- هل من خدمة أقدمها لك ؟

رد الشاب ذو البشرة البرونزية والشعر الأكرت الشديد السواد والعينين السوداوين بلغة عربية أقرب ما تكون إلى الفصاحة :

- نعم من فضلك .. هل أنت من سكان هذه المدينة ؟

أجاب الموظف بهزة من رأسه مصحوبة بنفس الابتسامة .. تريث النزيل قليلا مضيفا كمن ينتقي كلماته انتقاءا :

- إني أسأل عن عائلة أو شخص يحمل اسم الإمام من أهل هذه الواحة ؟

جال عامل الاستقبال بعينيه متفحصا الزائر .. مبديا استغربا لسؤاله .. مستفهما عن مثل هذا السؤال من مثل هذا النزيل ذي الملامح المزيجة بين الإفريقية والعربية ، تأمل للحظة عينيه الواسعتين المشوبتين بحمرة خفيفة مجيبا :

- نعم يوجد عائلة أو أكثر تحمل هذا الاسم كلقب للعائلة ، ولم أسمع بأشخاص يحملونه كاسم .

بدت علامات السرور على محيا الشاب ورسم ابتسامة بدت لموظف الاستقبال مميزة لشدة بياض اسنانه وأردف متسائلا :

- كيف لي أن ألتقي بأحد أفراد هذه العائلة ؟

- هل تسأل عن شخص بعينه أم ماذا ؟

سأله موظف الاستقبال مبديا استعداده الكبير لتقديم خدمته لزبونه ما دام ذلك بوسعه .

- لا .. لكن كل ما هناك أني أحمل رسالة مهمة .. وأريد أن أوصلها لهم بنفسي .

أضاف الشاب مستدركا :

- كما أرجو أن يكون من كبار السن .. نظرا لحساسية وأهمية موضوع الرسالة .

- حسنا .

رد موظف الإستعلامات وأضاف بعد برهة :

- سأحاول أن أصلك بأحد أفراد هذه العائلة فهم من معارفي ، فمدينتنا ليست بالكبيرة .. نحن هنا نعرف بعضنا البعض إلى حد كبير .

- حسنا .. سأكون على أحر من الجمر للقائه .. شكرا لمساعدتك .. ثق أنك تقدم لي خدمة لا تنسى .

انهمك موظف الاستقبال في الرد على زبائنه وتلبية طلباتهم في حين توجه الشاب البرونزي البشرة إلى غرفته استعدادا لتوصيل الرسالة التي بحوزته .

إزعاج

لعلع جرس الهاتف كثيرا ، و كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة ظهرا ما يعني أن هذا وقت القيلولة في بيت الحاج عبد الجليل ، وهو من الأوقات التي يحرص أفراد عائلته على توفير أكبر قدر ممكن من الهدوء والسكون ، حتى يتمكن الحاج عبدالجليل من أخذ قيلولة قصيرة قبل التوجه لأداء صلاة العصر في المسجد القريب من منزله ، فقد كانت فترة القيلولة هي الفترة التي تسكن و تستريح فيها الأعضاء من تعب أعمال الصباح وتتجدد فيها القوى لتستأنف دورتها الثانية لبقية اليوم بكل قوة ونشاط فالحاج عبدالجليل من الحريصين على المحافظة على هذا الطقس اليومي .

ردت إحدى بنات الحاج عبد الجليل بتكاسل وتأفف بعد إلحاح المتصل على استمراره في الإتصال ، كما ان صليل الهاتف كان مزعجا ، مما يعني وجوب الرد عليه للتخلص من الحاحه ، وحتى لا يتسبب إصرار المتصل على اتصاله إلى قتل السكينة المفروضة على سائر أفراد الأسرة وفي جميع أرجاء البيت .

كان على الطرف الآخر من سماعة الهاتف عامل استعلامات الفندق ، الذي ألح في طلب مكالمة الحاج ، رغم اعتذارها بعدم إمكانية إيقاضها لوالدها قبل صلاة العصر ، اضطرت الفتاة مذعنة تحت إصرار العامل لإيقاض أبيها على مضض منها ، رغم علمها المسبق بأن هذا يزعج أباها لدرجة كبيرة ، لكن ما يشفع لها مخالفتها لدستور أبيها الذي سنه في بيته هو أن عامل الإستعلامات بالفندق أعلمها بأهمية موضوع الاتصال وضرورته .

أخذت الفتاة جهاز الهاتف إلى غرفة والدها وبعد أن تأسفت كثيرا على إزعاجها له ، أعلمته أن على الهاتف شخصا ما يصر بشدة على مكالمته في هذا الوقت الخاص بقيلولته وراحته ، أخذ منها سماعة الهاتف وهو يغالب النعاس كاتما غيضه بصعوبة مبديا امتعاضه .

- نعم ...

أجاب على محدثه في الطرف الآخر من سماعة الهاتف ودار بينهما حديث قصير انهاه الحاج بجواب مقتضب وسريع قائلا :

- حسنا .. سوف أحاول أن ألقاه بعد صلاة عصر هذا اليوم .

وضع الحاج عبد الجليل سماعة الهاتف في مكانها ونظر إلى ابنته التي سألته عن هوية المتصل وماذا يريد منه بهذا الإلحاح . أجابها وقد طارت من عينيه آخر أمارات النوم :

- إنه زائر غريب يقيم بالفندق يرغب في رؤيتي .
- أرجو أن يكون خيرا .
- أرجو ذلك .

مكاشفة

في صالة الانتظار بفندق الواحة جلس الحاج عبد الجليل في انتظار حضور الغريب الذي طلب رؤيته ، كان يبدو عليه قليلا من الاضطراب فشل في إخفائه ، جال ببصره يتفحص اللوحات الفنية الجميلة المعلقة على جدران الصالة ، والمستوحاة من مناظر جميلة تصور الواحة القديمة ، شوارعها وأزقتها ومعالمها المميزة ، والتي طالما عاش فيها وله فيها الكثير من القصص والحكايا والذكريات ، كما عرضت بالصالة بعض المقتنيات والمصنوعات المختلفة التي توحي بعراقة الواحة وتاريخها القديم ، وفي أثناء ذلك وصل الزائر مقدما نفسه ومصافحا :

- أنا يوسف .. أظن أنك الحاج عبد الجليل؟ .
- نعم .. مرحبا بك .. علمت أنك ترغب في رؤيتي .

- أجل .

أجاب الضيف محاولا أن يكون طبيعيا وهادئا على عادته :

- أرجو أن يتسع صدرك لما أريد أن أحدثك به .

- حسنا سأكون كذلك .. تفضل بالجلوس .

طلب الشاب كوبين من الشاي الأخضر المنعنع .. فهو يعلم أنه المشروب المفضل لسكان الواحات والدواخل ، بدأ يتهيأ لسرد قصته التي بدى للحاج عبدالجليل أنها ستكون طويلة ، فتمنى في نفسه ألا تكون مملة كذلك .

بدأ سرده بسؤال الحاج :

- أنا يوسف من بلاد سكتو ألا يعني لك هذا الاسم شيئا ؟.

أجاب الحاج محاولا تجميع أفكاره المشتتة لعدم توقعه هذا السؤال :

- حتى الآن لم أكون فكرة على ما تريد إخباري به ، فيوسف اسم متداول بين المسلمين وغيرهم و بلاد سكتو في أواسط نيجيريا .. كان تجار بلدنا قديما حسب ما يُحكى لنا قد وصلوا لذلك البلد .. هذا كل ما استطيع تجميعه في هذه العجالة ! .

- حسنا هذا جيد لقد كانت مدينة سكتو مركزا هاما من مراكز كثيرة للتجارة في القارة السمراء .. استمرت كذلك لمئات السنين قبل أن تفقد أهميتها كغيرها من المراكز بتوقف تجارة القوافل وموتها ، فقد كان يؤمها التجار والصناع والعلماء وغيرهم كما هو حال الكثير من المدن على امتداد الصحراء .

- أستطيع أن أجزم لك أن هذا أيضا لا يعني لي حتى الآن شيئا ، فقد كانت واحتنا مركزا هاما أيضا في شمال الصحراء .. كانت نقطة عبور وربط وموقف للقوافل وسوق مهمة لتبادل البضائع .

أجاب الحاج على تساؤل جليسه الذي ابتسم مضيفا :

- بدأنا نقف على أرض مشتركة الآن .. لأنه لا يخفى عليك أن هناك من التجار وغيرهم من استقر عندنا كما استقروا في بلادكم .. أليس كذلك ؟ .

سأل الشاب محاولا إزالة الهوة التي بينه وبين الحاج عبدالجليل .. محاولا كذلك إخراجه من حذره الذي ظل عليه منذ التقيا . أجاب الحاج سريعا مؤكدا هذه المعلومة :

- هذا شأن جميع مراكز التجارة في كل مكان .. فقد يحلو فيها العيش لبعض الناس فيستقروا في إحداها .

أردف الشاب مضيفا لحديث الحاج عبدالجليل :

- وهناك من يضطر للبقاء مؤقتا حتى ينجز ما جاء من أجله ثم يرحل إلى بلده أليس كذلك ؟ .

-هذا ما يحصل غالبا .

رد الحاج على جواب الشاب الذي أضاف :

- حسنا .. لكن هنالك من يستقرون و يتزوجون من أهل تلك البلدان .. يصبحون من أهلها بتعاقب الأعوام والسنين والأحداث ... كما أن هنالك من يتزوج وعندما يعودون لبلدانهم يصطحبون زوجتهم وأولادهم .

- نعم هذا ما يحدث غالبا ، ولكن ما علاقة هذا كله في ما طلبتني من أجله ؟

.

استرسل الضيف مضيفا :

- هناك أيضا من يرحل ويبقي أسرته على أمل العودة ثانية أو يطلقها إذا لم ينوِ العودة والبقاء .

- أستطيع أن أجزم لك أيضا أن هذا حدث كثيرا عندنا .

أجاب الحاج حاثا الشاب على مواصلة الحديث حتى يصل إلى مراده بأقصر الطرق ودون اللجوء إلى كل هذه المقدمات .

رشف الشاب رشفة من كوبه مستمتعا بطعمها اللذيذ قبل أن يضيف مقطّعا جملته إلى عدة مقاطع ملاحظا تأثير كل مقطع على صفحة وجه الحاج عبدالجليل :

-هذا ما حدث فعلا في بلدنا .. فقد جاء أحدهم إلى بلدنا .. وتزوج من امرأة .. وأنجب منها ولدا .... ثم رحل على أمل أن يعود .. ولم يرجع بعدها أبدا ....

- هذا ما يحدث غالبا ، نظرا لاتساع الصحراء والبعد بين مدنها . . ولكن ماذا يعني هذا كله الآن ؟ .

كانت إجابة الحاج تنم عن فشل جليسه في إثارة فضوله :

- لقد ترك الرجل لزوجته بيتا .. وبستانا .. وبعض المال لها ولمولودها .... وذهب دون أن يطلقها .

سرت بينهما لحظة صمت قبل أن يضيف :

- لقد ترك لها وصية أيضا ... فيها اسمه واسم عائلته ... واسم أخيه في بلده التي جاء منها والتي عاد إليها .

- هذا حسن وماذا حصل بعدها ؟ .

تساءل الحاج عبد الجليل متشوقا لمعرفة تفاصيل هذه القصة ، التي بدى له الآن أنها مشوقة .

- حاول أهل زوجته كثيرا للوصول إلى هذا الرجل .. باءت جميع محاولاتهم بالفشل الذريع .. لم يتمكنوا من الوصول إلى شيء .. نظرا للكثير من العقبات .. منها أن الرسالة أو الوصية التي تركها لم تكن واضحة لجيلين أو أكثر من العائلة .. هذا عدا صعوبة المواصلات والاتصالات في ذلك الوقت والحين .

سأله الحاج :

- وهل لبلدنا هذا دخل في قصتك المشوقة ؟ .

أجاب بثقة :

- نعم ... وهذا سبب حضوري وطلبي للقائك .. فقد كان هذا الرجل من بلدتكم هذه .. فأنا أتيت إلى هنا للتعرف على باقي أبناء عائلته إن وجدت .

- كيف لي أن أساعدك في مثل هذه الحالة .

- لا أخفي عليك إذا قلت أن الرجل الذي أعنيه هو جدي .. وأن أخاه الذي عناه في رسالته قد يكون جدك أنت الحاج الإمام.

حيرة

- عاد الحاج اليوم على غير عادته فأرجو أن تدخل عليه وتعرف لنا ما الذي حل به فقد بدأ واضحا عليه القلق والشرود والحيرة .

بادرت بنت الحاج عبد الجليل لأخيها بمجرد أن دخل زائرا لبيت العائلة كعادته يوميا .

- ماالذي جرى بالتحديد .

سألها مستفهما .

- لا ندري بالضبط ، ولكن جاءته اليوم مكالمة بعد فترة الغداء من الفندق ، وحين سألته عن هوية المتحدث أجاب : أنه شخص غريب عن البلاد يطلب لقاءه بإلحاح .

- حسنا سوف أدخل لأسلم عليه أولا ثم أحاول أن افهم منه .

دخل على أبيه .. وجده مستلقيا على فراشه .. أمارات الحيرة بادية عليه

.. ألقى عليه التحية .. أعقبها بسؤاله :

- إن شاء الله خير ، ما بالك يا أبي شارد وغير صافي الذهن على غير عادتك .

- والله يا بني هناك أمر حدث اليوم شوش عليّ تفكيري وحيرني .

جلس على أقرب مقعد بغرفة والده مبديا لوالده استعداده واهتمامه لسماعه محثا إياه كذلك على مواصلة حديثه.

- لقد جاء شاب من نيجيريا اسمه يوسف .. إدعى أنه قد تكون له قرابة معنا من جدٍ بعيد !!! .

ابتسم محاولا إزالة القلق من نفس والده:

- وما في هذا الكلام ما يقلقك ... الأمر بسيط .

- لا تهون الأمر كعادتك فهذا ليس بالأمر الهين .

- انه فعلا هين وبسيط ، عليه أن يثبت ذلك أولا ... ثم أهلا و سهلا به بعد ذلك ، هل عنده دليل على ما ادعاه ؟ .

- نعم لقد أراني وثيقة قديمة فيها شجرة نسبه ، يقول أن جده تركها لهم في بلدهم .

- ماذا حدث بعد ذلك ؟. . . هل شجرته فعلا فرع من شجرتنا؟ .

أجاب الحاج عبدالجليل :

- نعم فهي معتمدة ومختومة ولقد طلبت منه أن يعطيني وقتا لمناقشة هذا الموضوع مع أفراد العائلة .. كما وعدته أننا سوف نتصل به .

- حسنا فعلت .. هل أخبرت أبناء عمومتنا بهذا الموضوع .

- لقد اتصلت بعمك عبد القادر وابنه خالد وعمك إسماعيل وأخيك عبد السلام ... طلبت منهم الحضور الليلة لتناول العشاء هنا وبعد ذلك أتحدث معهم بما حدثني به الشاب الغريب ... من الحكمة أن لا نقطع بشيء في هذا الموضوع دون التشاور فيه معا .

نظر الحاج عبدالجليل لابنه مستنجدا طالبا ابداء رأيه لحل هذه المعضلة التي ألمت بالعائلة .

- هذا حسن .. وحتى يحين موعد العشاء سوف أقوم بمراجعة الوثائق والأوراق القديمة الخاصة بالعائلة التي بحوزتي ... لعلي أجد ما يفيد في هذا الشأن حتى نستعين به في حل هذه القضية .

محادثات

تناول الحاضرون وجبة العشاء الدسم الذي قامت أسرة الحاج عبدالجليل بتجهيزه وإعداده ، كما تناولوا إثره بعض الفواكه المحلية .. تعاقبت أكواب الشاي الأخضر بين الحاضرين و بدأوا في تجاذب أطراف الحديث .

قطع الحاج عبدالجليل هذه الأحاديث الجانبية و استهل الحديث في صلب الموضوع بسؤاله :

- يا حاج عبد القادر .. هل تعلم أن أحداً من آبائنا قد استقر في بلاد سكتو وتزوج فيها ؟ .

لم يكن السؤال مفاجئاً للحاج عبدالقادر الذي اعتاد على مثل هذه الأسئلة واشباهها التي تمت لتاريخ العائلة والواحة بصلة ، فعادة ما تكون هذه الأحاديث هي محور الجلسات ، خصوصا عندما يتكون المجلس من

أعمار وأجيال مختلفة في العائلة ، فقد كان حريصا على إيصال تاريخ العائلة والواحة لأبنائها وأجيالها المختلفة ، أجاب بابتسامته المعهودة بصوته الخافت الذي بالكاد يسمعه الحاضرون :

- حسب ما أعلم .. مما حكته لنا أمي المرحومة أنه لم تسمع أن أحداً من آبائنا الأوائل تزوج في تلك البلاد .. ولا استقر بها .. وكل ما هنالك أنه كانت لهم رحلات في تلك البلاد وغيرها لغرض التجارة فقط .

أضاف ابنه خالد بابتسامته الهادئة التي ورثها عن أبيه :

- لقد حكت لنا جدتي رحمها الله وغفر لها أن هناك وصية من أحد أجدادنا لأبنائه وأحفاده تحذرهم من الزواج في البلدان الأفريقية وتحثهم على عدم الاستقرار هناك .

أضاف الحاج إسماعيل مشاركا في الحديث :

- كما أخبرتنا أمي حفظها الله أن هذا الجد قد وضع لهم حدا لا يتجاوزونه في تجارتهم ، وأظن أنها مدينة أقاديس والتي تقع في شمال النيجر وألا يتوغلوا في البلدان السوداء وألا يتعاملوا في تجارة الرقيق أيضا .. وألا يتزاوجوا هناك .

تساءل عبد السلام موجها الكلام لشقيقه الذي ظل متابعا لسير الحديث :

- ألم تصادفك هذه الوصية ؟ .. فأنت أكثر فردٍ في العائلة قد اطلع على تراث العائلة من الوثائق والعقود والمخطوطات وغيرها ؟ .

أجاب بحذر من يريد لكلامه أن يكون دقيقا :

- كلا حتى الآن .. فأنا لم أطّلع على كل الوثائق فهي كثيرة وقد تكون مخبأة في مكان ما في المدينة القديمة .. أو قد تكون ضائعة فلقد كانت جدتي تنقل عن المرحوم جدي دائما كلاما قريبا من هذا .. وأكدت أيضا أن عائلتنا من بين العائلات القليلة في الواحة فقط لم يتزوج ابناؤها من بنات السودان .. وهذا شيء معروف بالواحة كلها .

بادر الحاج عبدالجليل قائلا :

- أعلمكم أنني قد تحدثت اليوم مع شخص قادم من بلاد **سكتو** يقول إنه قد تكون بيننا وبينه علاقة نسب وقرابة دم .. فهذا الذي حدى بي أن أجمعكم الليلة هنا لمناقشة أمر هذا الزائر وما جاء به .

سرت همهمة بين الحضور .. أخذ الحاج عبد الجليل يراقب ردود الأفعال على وجوه الحاضرين .. ما هي إلا ثوانٍ حتى انبرى خالد ليدلي بدلوه قائلا :

- أعتقد أنه مدعٍ .... فلم يحدث قط أن ذكر أحدٌ لنا مثل هذا القول .

رد عليه عبد السلام :

- هذا لا يعني أنه مدعٍ ... كما يجب عليه أن يقدم الدليل على صدق كلامه ثم ننظر في أمره .

توجه الجميع إلى إبراهيم ينتظرون رأيه فيما سبق الحديث عنه ، اعتدل في جلسته بعد أن وضع كوب الشاي الأخضر المنعنع من يده فقال :

- علينا أن نلتقي به أولا .. ونتحدث إليه .. ونرى الدليل الذي قال أنه أحضره معه .. نتفحصه جيدا .. وكما فهمت من والدي أنه قال ربما تكون

بيننا وبينه علاقة قربى فهو غير متأكد فلننظر ما الذي حدا به لهذا الشك .. وحينها نحكم على قوله بالقبول أو الرفض .

أومأ الحاج عبد القادر برأسه موافقا على هذا الاقتراح وأمّن قائلا :

- أرى أن تلتقي به أولا فتسبر غوره وترى وتسمع منه وتأخذ الوقت الكافي لذلك .. ثم بعدها نقرر ما يجب علينا أن نفعله .

عقب إبراهيم على اقتراح عمه عبد القادر :

- إذا ينتظرنا عملٌ طويلٌ معه في الأيام المقبلة .

تبادل الحضور أحاديث تدور قريبا من هذا السياق .. افترقوا أخيرا على الرأي الذي إقترحه الحاج عبد القادر .

تاريخ

كان معظم أهالي الواحة قديما يمتهنون التجارة ، فقد كانت واحتهم تقع في وسط الصحراء الكبرى تقريبا ، تحيط ببلدتهم تضاريس صعبة متمثلة في سيوف الرمال في كل الاتجاهات وعلى امتداد مسيرة عدة أيام . كما يحيط بها الكثير من الوديان الجافة والجبال الموحشة ، شكلت هذه التضاريس الممتدة وهذه الجبال والسيوف الرمالية وغيرها عراقيل تعيق حركة القوافل من الوصول بأمان للأسواق الجنوبية البعيدة . فكانت واحة غدامس أهم مداخل أهل الشمال لإفريقيا السوداء ، وإحدى مخارج أفريقيا

السوداء المهمة لنقل بضائعهم لمدن الساحل . فلقد كانت لهم علاقات تجارية مهمة بمعظم المدن الساحلية مثل طرابلس و صبراتة وتونس . فهي أهم الموانى في ذاك الوقت ، والتي بدورها كانت حلقة الوصل بأوروبا وباقي العالم القديم .. كذلك كانت لهم علاقات أعمق وأقوى مع مدن الجنوب ، فقد توغلوا في أعماق القارة السوداء . فكانوا من أفضل من يتعاطى تجارة القوافل منذ أقدم العصور والأزمان . تعاملوا واتجروا مع جميع أسواق الصحراء الجنوبية ومعظم أسواق الساحل وكانوا من أغني التجار وأمهرهم وأذكاهم ، فكان الجميع بحاجة لخدماتهم في نقل البضائع والقيام بصفقات بيع و مبادلة البضائع . مما اضطر بعضهم للبقاء لسنوات طويلة بعيدا عن بلده الأم لمتابعة أعمال التجارة ولوازمها من عقد للصفقات وتسيير للقوافل وقيادتها اغلب الأحيان والبحث واكتشاف أسواق جديدة لتصريف وجلب البضائع .كما استحدث المقيمون منهم مهنة جديدة إلى جانب تجارتهم الخاصة بهم .. فقد صاروا وكلاء لتجارة أهالي بلدهم وغيرهم من التجار ، فكان أهالي غدامس يرسلون البضائع إلى تلك البلدان مع القوافل الذاهبة إلى بلدهم وكذلك قوافلهم الخاصة بهم ويتلقاها الوكلاء في الأسواق البعيدة ويقومون بتصريفها وبيعها وإرسالها إلى أسواق أبعد إذا تطلب الأمر ذلك . ويرسلون بالأرباح وبضائع أخرى إلى أصحابها مع القوافل العائدة وهكذا تستمر الدورة . فكما ربطت بينهم وبين أهالي تلك البلدان علاقات تجارية وطيدة ، قامت بينهم علاقات اجتماعية فتزوجوا في تلك البلدان وأسسوا أسرا وعائلات جديدة ، امتدادا لعائلاتهم وأسرهم في الواحة الأم غدامس ،

منهم من عاد إلي بلده بعد غياب .. كما ان منهم من بقي واستقر .. منهم من وافاه أجله فدفن هناك بعيدا عن واحته .

وبين الفينة والأخرى يقدم إلى الواحة أناس من تلك البلدان البعيدة ، باحثين عن أصول أهاليهم ، جالبين معهم أبنائهم ، وراغبين في الاستقرارمع ذويهم وأبناء عمومتهم في أغلب الأحيان ، وقليلا منهم من جاء لغرض السؤال والتعرف على أهله وذويه و العودة من حيث أتى . فمنهم من يجد أصلا لفرعه ومنهم من لا يجد أحدا من بقايا أهله . وقد تعامل سكان الواحة مع هذه الفئة من السكان تعاملا راقيا . فبمجرد أن يثبت انتمائه لعائلة ما يتلقاه أبناء عمومته بالترحاب فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم . فيستقر معهم ويعيش بينهم . هذا الذي حدا بنا في مجلس العائلة ان نتحرى الدقة في البحث والتأكد من الوثائق والأوراق والأقوال قبل أن نبث في أمر قريبنا الغريب القادم من أدغال القارة السوداء.

تعارف

في صالة الانتظار بفندق الواحة ، جلس على إحدى الأرائك الفاخرة المغلفة برسومات مستوحاة من زخارف قديمة امتازت بها الواحة عن غيرها من المدن والمناطق .. ألوان جذابة اختلط فيها الأحمر بالأصفر مع الأخضر .. أشكال مختلفة من دوائر ومثلثات و رموز توحي بالغموض والأسرار والقدم .. مطرزة بأشكال متناسقة وأوضاع جميلة .

أخذ يقلب طرفه بين الألواح المعلقة على الجدران والمرسومة بألوان زيتية رسمها فنانون مختلفون من الواحة ومن خارجها .

دخل من الباب المؤدي إلى غرف النزلاء شاب جميل الصورة برونزي البشرة ذو بنية قوية ، تقدم بخطى ثابتة مقدما نفسه و باسطا كفه للمصافحة :

- مرحبا بك .. أنا يوسف .

رفع بصره نحو الشاب الواقف أمامه .. وقف لاستقباله ومصافحته مبتسما قائلا :

- مرحبا بك .. أنا إبراهيم .

وأضاف مازحا :

- وقد نكون أبناء عمومة حقا .

- سعدت بلقائك ، أرجو أن لا تكون زيارتي قد سببت إرباكا لك و للعائلة الكريمة .

- أبدا يسرنا أن تسعد بفترة بقائك في واحتنا ، وحتى يتسنى لنا التثبت من أوراقك والوثائق التي أحضرتها معك أرجو أن تقضي أياما ممتعة في صحبتنا .

- أرجو ذلك لقد قرأت كثيرا عن هذه الواحة وأهلها في أثناء بحثي في الوثائق والكتب لحل اللغز الخاصة بالعائلة .

تساءل مبديا استغرابه :

- لغز خاص بالعائلة ؟ .

- نعم الحقيقة أنها سلسلة من الألغاز والأحاجي فلكي تصل إلى الحل يجب أن تحل الكثير من العوائق والأحاجي .. هذا الذي أخر عائلتنا للوصول إلى هنا .

- سوف يكون لنا متسع للحديث في هذه الأوراق والوثائق .

وأضاف :

- أظن أنك لم تتجول بعد في هذه الواحة أليس كذلك ؟ .

أومأ إيجابا .

- حسنا .. اسمح لي أن أكون مرشدك السياحي ، وأثناء تجوالنا في معالم المدينة تحدثني بكل ما لديك بالتفصيل .. لقد شوقتني لسماع ألغازك وأحاجيك .

- موافق ، وأرجو أن لا أضيع وقتك الثمين فيما لا طائل من ورائه .

- لقد فرغتني العائلة باعتباري مهتم بالجانب التاريخي للعائلة .. وحتى لا نضيع الوقت هيا بنا نبدأ الآن .

- هيا .

انطلق الشابان معا ...

المتاهة

ترجلا من السيارة ، وقفا على حافة السور الذي يحيط بعين غسوف التي اشتهرت بها غدامس ، أخذا يتأملان في بقايا العين التي نضب ماؤها بفعل توالي السنين وتدخل يد الإنسان فيما وهبه الله له من خيرات .

- هنا كانت البداية ، حيث وجد الماء وجد الإنسان .. ما اجتمع الإنسان والماء إلا و كانت الحضارة والبنيان ثالثهما وأينما اجتمع هؤلاء الثلاثة احتاجا إلى طرف رابع لهم ... كانت التجارة أفضل رفيق .. وقلما اجتمع الأربعة إلا وتسرب إليهم و دون شعور منهم وسيطر عليهم طرف خامس بغيض ..... إنه الطمع .

افتتح جولته مع ضيفه بهذه المقدمة اللطيفة .

- إذن هذه هي العين الأزلية التي جعلها الله سببا لوجود هذه الواحة العريقة.

- نعم .. يبدو أن لديك معلومات كثيرة عن بلدنا .

ابتسم وأومأ إيجابا .. أضاف قائلا وهم يغادرون موقع العين متجهين إلى الباب المؤدي إلى داخل الواحة القديمة :

- وأعلم كذلك أن للمدينة في القديم أسوارا وأبوابا ونظاما محكما خاصا بها قد لا يكون له مثيل في طول الصحراء وعرضها .

دخل الشابان من الباب المواجه لهما .. أخذ في الحديث عن هندسة معمار المدينة وعن طرقها الضيقة المعتمة والضيف الشاب يزداد إعجابا وانبهارا بما يسمع ، بعد نحو ساعة جلسا في إحدى المصاطب المنتشرة في جل أزقة الواحة القديمة ، قال بعد أن تأمل المكان الذي اختاراه للجلوس والراحة .

- هناك بعض المعالم المشتركة بين بلدتكم القديمة هذه وبعض مدن الصحراء القديمة .

أجابه مؤمّنا وموافقا على ملاحظته :

- نعم هناك الكثير من المعالم المشتركة .. ذلك ناتج لمشابهة الظروف المناخية والبيئية و الظروف الاجتماعية أحيانا .

- وأظن أن بعض الاختلافات كذلك ناتجة عن اختلاف الثقافات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فلكل مكان طبيعته المختلف عن الأخرين .

- نعم أحسنت فقد قام الأولون ببناء المدينة على نمط غير مسبوق ، فأنت قد تتجول في معظم واحات الصحراء ومدنها فستجد لكل مكان طابع يتميز به عن غيره ناتج عن ثقافة سكانه وخبراتهم .

- وبما أن أهالي واحتكم قد جالوا الصحراء طولا وعرضا واحتكوا بكثير من الأمم فقد طوروا واحتهم بما يتلاءم مع ثقافتهم الأصلية وبما اكتسبوه من خبرات طويلة وتجارب ، هذا ما يبدو لي واضحا من خلال المعمار ومن خلال ما أسردته لي من تاريخها الاجتماعي وهذا ما يزيد زيارتي متعة .

ابتسم موافقا على ملاحظات رفيقه فاسحا له المجال للحديث أكثر عما يعتمل داخله .

- ولكن من خلال تجوالي معك لاحظت وكأن المكان يلفه شيء من الغموض وعدم الوضوح .

- ما الذي أوحى لك بهذا الشعور؟ .

- نوع البناء يوحي بأن أهلها يتمتعون بشيء من الحذر .. أو دعنا نطلق عليه الحيطة أو الغموض .. عدم الوضوح .. هذا ما يفسر لي سبب الغموض في الوثائق التي أحملها معي حول عائلتي وحول مهمتي هنا .

- لا أخفي عليك ان الكثير من الزوار ينتابهم مثل هذا الشعور الغامض .. فما الشيء الذي أوحى لك هذا الغموض ؟ .

- هندسة المدينة ودروبها المسقوفة فهي المدينة الوحيدة في العالم المغطاة بالكامل ، يوحي ذلك بأن المكان مغلف بالأسرار ، كما أن طرقها الملتوية الكثيرة والضيقة تضيق عليك تفكيرك ويحصره في أماكن ضيقة يضفي على الداخل هالة من الغموض والأحاجي ، كما اشعر كأن واحتكم هذه صممت لتكون كلعبة الدهليز .. عليك أن تجتهد كثيرا كي تتمكن من حل هذه الأحجية الكبيرة .

- لم تجانب الصواب .. فقد كان هَمُ السكان هنا منذ القدم كيف يحمون أنفسهم أولا ، ثم ممتلكاتهم ثانيا .. فمدينتهم أخيرا .. استوحى المصممون الأوائل هذا الطراز من البناء . استمروا في تطويره على مرور السنين والأعوام ، لأنهم حاولوا أن يجعلوه أحجية يصعب على مخترقها الوصول

إلى غايته والتي تعتبر مخفية ومستحيلة داخل هذه اللعبة الكبيرة ، فعلى من أراد أن يبلغ مراده منها أن يجتاز أسوارها الخارجية أولا .. ثم حصن الأحاجي هذا .. ثم تبدأ لعبة الأسرار الحقيقية داخل الممرات المظلمة والبيوت الغامضة التركيب والتكوين .

سكت هنيهة ليرى تأثير كلامه على زائره فقال :

- أظن ان كل من يزور الواحة لأول مرة يسترعي انتباهه أن دروب المفضية للأزقة والبيوت تضيق في أماكن وتتسع تدريجيا في أخرى .. وفجأة تضيق على حين غرة .. كما يتخللها بعض الأماكن المظلمة والأخرى شديدة الظلمة ، هذا عدا أنها ليست على استقامة واحدة ، وغير هذا فأسقف الممرات مختلفة الارتفاع .. فتارة تكون في قامة الرجل العادي و تارة أخرى تعترضك العوارض الخشبية للأسقف .. وتكون في مستوى يضطرك للانحناء .. وفي أحيان قليلة تكون عالية الأسقف .. وبدون سابق إنذار تجد نفسك في ميدان واسع .. يفضي بك لدروب فرعية أخرى .. تكون مظلمة ومخيفة فماذا تقصدون من وراء هذا البناء ؟ .. لأني أعتقد انه قد صمم ليكون له غرض ما .

- أهنئك على استنتاجاتك التي اصبت بها عين الحقيقة .. فالغرض من هذا التصميم وبهذه الطريقة بالذات ..... هو أهم ما شغل بال الانسان منذ حل على هذه البسيطة " الأمن والأمان" .

- هذا عكس ما يستوحيه الزائر لبلدتكم .

- نعم فهي تعطي الأمان والحماية لأهلها فقط .. وليس لغيرهم من الزوار خصوصا الدخلاء .

- هل لك بأن تتكرم وتفسر لي هذا الغموض .

- انك بمجرد أن تدخل من أي أبواب المدينة شئت فسرعان ما تفقد الإحساس بالاتجاهات فلا تعلم شمالك من شرقك ولا جنوبك من غربك .. بل قد يصل الأمر ان تشك في مكانك هل هو فوق الأرض ام في باطنها ، وهذا ناتج عن عدم رؤيتك للسماء .. فهي كما ترى مسقوفة بالكامل ولا تجد سوى بعض الأماكن التي يتسرب منها النور وشعاع الشمس ليحدد به الأهالي الوقت ولينيروا به أزقتهم المعتمة ولتجديد الهواء والتحكم في كل ذلك حسب رغبتهم وحاجتهم .

- وما تفسيرك للأسقف المنخفضة والتي فجأة ما تعلو ثم تنخفض بك بغتة فهل هذا أيضا من أسلحة الحماية ؟ .

- بالتأكيد .... فالداخل إليها دون دليل من أهلها فأول ما سيلاقيه التيه في دهاليزها وأحاجيها ومتاهاتها وخصوصا إذا كان دخوله ليلا فسرعان ما يُكتشف أمر الغريب .. لأنه حتما سيصطدم إما بالعوارض الخشبية المفاجأة وإما بالتواء الأزقة والممرات وعدم استقامتها .

- هذا شيء رهيب !!! وما أن يصطدم بشيء حتى يحس به أهل البلد ويعلمون بوجود داخل غريب فيحتاطون له !!! .

ابتسم إبراهيم وأضاف :

- نعم فيتتبعونه من مكان لمكان وخصوصا من أعلى من خلال فتحات الإضاءة والتهوئة المنتشرة في أسقف هذه الشوارع والأزقة دون ان يحس أو يشعر ، كما أنهم تعمدوا إلى إبراز بعض الجدران ووضع بعض الدرج والمصطبات لتعترض طريقه ليتعثر الداخل خلسة لعدم استقامة الممرات والدروب والأزقة ، فيتم ضبطه من قبل حراس الواحة .. يقال ايضا انهم قد يلجأون إلى تغطية فتحات التهوية نهارا أيضا لتعم العتمة كل المدينة فلا يستطيع العدو الحركة بحرية في الأزقة بل تشل حركته نهائيا ليصبح بعد ذلك صيدا سهلا لأهلها .

- هذا بالضبط ما يفعله المصممون في المواقع الالكترونية .. كذلك المصارف .. ومنظومات الحماية التي تعتمد على الكمبيوتر وبرامجه المختلفة ، والتي تعتمد غالبا على كلمات المرور السرية ، ويبدو أن لكم سبق في هذا المجال .. فقد حصنتم مدينة كاملة بالألغاز والأحاجي والألغام .

- فللمرور بنجاح عليك اختيار كلمة المرور المناسبة وهي أن يرافق الغريب أحدا من أهل البلاد ، ليحسن الاستمتاع بهذه الاحجية .. ولعلك تكون أول من فسر هذا اللغز بهذه الطريقة العجيبة .

- هذا ما يفسر لي لماذا لجأ جدنا للكثير من الغموض الذي وضعه في طيات الأوراق التي تركها بين ايدينا حتى يصعب علينا الوصول لحلها ومعرفة مغزاها إلا بعد مرور وقت طويل وجهد جهيد .

ابتسم للشاب الذي ظل مستغرقا فـي تأملاتـه محـاولا أن يعود بخيالـه إلـى الماضي البعيد راسما في خياله صورة عجيبة لهؤلاء القوم الذين عاشوا جل حياتهم تحت استار الحيطة وبين جدران الحذر .

استمرا فـي جولتهمـا .. كـان يوسـف يستفسـر عـن كـل مـا يثيـر اهتمامـه واستغرابه حتـى نـال منهمـا التعـب وبـدا علـى ملامحـه الأعيـاء مـن سـيل المعلومات الدقيقة والغموض الذي عاشه طيلة الفترة التي قضـاها فـي جولتـه هذا اليوم . لاحظ إبراهيم ذلك على محيّا ضيفه فقال :

- سوف ندخل لهذا البيت الأثـري لنستمتع بمشـاهدة محتوياتـه ولنسـترح فيـه قليلا ، و حتى يتسنى لنا الخوض في ما تحمله الأوراق التي بين يديك .

سياحة

كـان ذلـك البيـت معـدا فـي الأصـل لاسـتقبال الـزوار والسـائحين والضـيوف ، فكـان نموذجـا لمسـاكن أهـل الواحـة القديمـة . حـرص أصـحابه على أن يكون على نفس ما كانت عليه بيوت الواحة فـي الماضـي من حيث الطـلاء والـديكور والزخـارف والنقـوش ، و كـذلك محتوياتـه مـن أوانٍ ومفروشات ومقتنيات وأدوات وروائح ، حتى يرى الزوار والسائحون عن كثب وقرب وبعين الحاضر كيف عـاش النـاس فـي ذلك العهد الموغل فـي القدم والتاريخ ، فكان متحفا صغيرا بكل ما تعني كلمة متحف من معنى .

دخل الشابان من الباب الذي كان مواربا ، بعد أن طرقه إبراهيم بواسطة حلقة مخصص للطرق في أعلى الباب ، سمعا صوتا أتاهما من جوف البيت يدعوهما للدخول ويرحب بهما .

تجولا معا في طبقات البيت الثلاثة .

لم يخفِ يوسف انبهاره وإعجابه بما يرى ويشاهد . وما زاد من عُجبه وانبهاره ما يسمع من الشروح الوافية من دليله، الذي لم يألِ جهدا في رسم صورة حقيقية لما كانت عليه الحياة في الماضي .

جلسا في باحة البيت الموجودة في الطبقة الثانية المخصص للمعيشة وهي عبارة عن باحة مربعة مرتفعة السقف ، و توجد كوة مربعة في أعلى سقفها مصممة للتحكم في دخول النور و الشمس ولتجديد الهواء . وتفتح جدران الباحة الأربعة على غرف وخزائن متفاوتة في الحجم ومختلفة في الشكل ومتباينة في الارتفاع متنوعة الزخارف والرسوم ولكل منها وظيفة واستخدام مختلف عن غيرها ، وازدانت جدران الباحة بزخارف ملونة ورسوم بديعة يغلب عليها اللون الأحمر و القليل من الأصفر و الأخضر بتنسيق بديع وتجانس فريد ، متطبعة بطابع غريب .

وتكثر على جدران الباحة المرايا المختلفة الأحجام والأشكال ، منها الكبيرة المستخدمة لزيادة إضاءة الباحة ، ومنها المخصصة لعكس شعاع الشمس لباقي الغرف التي تفتح أبوابها على الباحة وتزويد الطرقة وغرف الطبقة السفلى من البيت المعدة لتخزين المتاع وغيرها من مختلف الأغراض بأشعة

الشمس ونورها ، حتى يحير الناظر من كثرتها وتنوعها وهذا ما عبر عنه قائلا :

- لم أكن أتصور ولم يخطر ببالي قط أنه يوجد في مثل هذه الصحراء البعيدة مثل هذه القصور البديعة .

- إنها ليست قصور .... فبيوت الواحة القديمة كلها على نفس هذا الطراز والشكل .. تختلف فقط في تفاصيل صغيرة لا تكاد تذكر مثل حجم البيت وعدد غرفه ، أما باقي الأشياء فكل بيت شبيه بالآخر شبه النعل بالنعل والكف بالكف .

- إذا فالجميع يعيشون في قصور مثل هذا القصر .

- نعم .. إذا جازت التسمية .

جلسا معا على متكأ مكون من بعض الوسائد التي رصت بانتظام في صدر الباحة .

- لا أدري لمَ أحس بالغموض يلف كل شيء حولي ، فيبدو أن هذه الزخارف تبدو للناظر كنوع من الزينة في حين أنني أحس أن في طياتها رموزا وسطورا وكلاما أخفاه كاتبه .

سكت قليلا منتظرا ردا من دليله على هذه الملاحظة فأردف :

- كما أن لهذه المرايا وظائف أخرى غير الزينة والإنارة أليس كذلك ؟

- في الواقع نعم .. فلبعض هذه المرايا المختلفة الأحجام والأوضاع والزوايا وضيفة أخرى ، تتمثل هذه الوظيفة في مراقبة مداخل البيت العلوية والسفلية وما يجري في غرف البيت عن طريق انعكاس الصور من مرآة إلى أخرى.

سكت برهة فاسحا المجال لرفيقه لملاحظة الزوايا التي ثبتت بها المرايا في الجدران وطريقة الانعكاس وبعدها أضاف :

- فمثلا تستطيع المرأة من دُرج الدور العلوي مشاهدة ما يجري في هذه الباحة من خلال مرآة مخصصة لذلك ،،،، كما يمكن للجالس في صدر البيت رؤية الداخل من أسفل عن طريق النظر في هذه المرايا .

اشار إبراهيم في كل مرة لبعض المرايا امعانا في التوضيح :

- هذا رهيب وعجيب ... اعتقد ان كل هذا يدور في فلك الحماية والحرص والأمن والحذر .

- صدقت فالسلامة والحرص هما أهم دافع لكل ما تراه .

- هذا ما يزيد و يرسخ في فكري الغموض والأسرار التي يتطبع بها الغدامسي في كل أطوار حياته ، فهو كتاب مغلق مطلسم لا تعلم ما به حتى تفتحه وتقرأه وتفهمه كله .

- يا ترى هل ستتمكن يوما ما من فتح ذلك الكتاب ... ومن ثم قراءته وفهمه ؟ .

- هيهات ولولا وجودك معي في هذه الرحلة لما اكتشفت كل هذه الأسرار ... أم هي لم تعد من الأسرار الآن ؟ .

ابتسم مؤمنا على كلام رفيقه :

- أظن أن أي دليل سياحي سيخبر زواره بكل هذه المعلومات وأكثر أحيانا فهي متاحة للجميع .

- أعتقد أنني محظوظ بدليلي ومرشدي الذي قدم لي كل هذه الشروح والتوضيحات ، التي ما زادتني إلا شغفا لمعرفة المزيد ، لعلي أصل إلى الغاية التي أنا من أجلها هنا ، ولحل بعض العُقد التي قد تُوصلنا لحل لغز عائلتي ، الذي ظل غامضا لعقود طويلة .

- يبدو لي أن هذا الإحساس لن يزول حتى تفصح عن كل ما يجول في خاطرك .. وتبوح لي ببعض الأسرار التي سبق أن تحدثت عنها وتطلعني عن الوثائق و الأوراق التي بحوزتك .

- حسنا ... حسنا .

تنفس نفسا عميقا استعدادا لسرد روايته :

- القصة تبدأ من وقت بعيد منذ أكثر من مائة عام .. كانت مدينتي سكتو قبلة للتجار والصناع والعلماء والفقهاء وطالبي الثروة والذهب وعشاق المغامرة وطلاب الشهرة ، فهي كمدينتكم هذه إحدى المدن القائمة على التجارة في هذه الصحاري الشاسعة .. تدخلها كل يوم قافلة و تغادرها أخرى و هكذا على طول العام .. كانت ملتقى لعقد الصفقات بين القوافل والمدن والقبائل والتجار .

أضاف :

- القبائل تقدم خدماتها في حماية القوافل مقابل رسوم محددة للمرور بأمان في أراضيها ، ويسعى أصحاب القوافل لعقد الصفقات مع التجار ، كما يحرص الوكلاء على توفير البضائع وتصريفها في الأسواق المختلفة .

قال إبراهيم مؤمنا وموافقا على كلام رفيقه :

- هكذا أو قريبا من هذا كانت الحياة قديما في معظم المدن والواحات الصحراوية والساحلية .

أمّن برأسه على كلام إبراهيم .. استمر في قصته قائلا :

- وصل للمرة الأولى مع إحدى القوافل القادمة لمدينة أقاديس بشمال النيجر تاجر شاب .. ماهر في تجارته .. يتوقد حماسا ونشاطا .... اسمه سعدالدين ... يدل بياض بشرته الناصع على أنه من شمال القارة ... كان ناجحا وبارعا في التجارة .. قبل عودة القافلة التي قدِم بصحبتها أصابه مرض مضنٍ أقعده عن المسيرة والعودة معها .. بقي لمواصلة علاجه .. على أن يلتحق ببلده فور شفائه رفقة أول قافلة متجهة شمالا .. أرسل مع القافلة خدمه ومتاعه .. وأرباحه .. وأصناف البضائع التي يحتاجها للتجارة في طريق عودة القافلة لمستقرها الأخير .

قاطعه إبراهيم قائلا :

- بداية لقصة مشوقة وممتعة .

- استغرق علاجه وقتا .. تماثل بعدها للشفاء .. انتظر قدوم قافلة من الشمال كي يعود معها .. طال انتظاره .. توقف كل شيء بسبب حرب نشبت بين القبائل التي تمر بها القوافل .. وفي أثناء انتظاره . قرر هذا الشاب أن لا يضيع وقته سدى .. انتقل بين بعض الأسواق القريبة من أقاديس وتاجر وقايض ببعض السلع .. حالفه النجاح .. اكتسب أصدقاء جددا .. نجح كذلك في كسب وكلاء جددا .. كبرت تجارته .. تعرف على أسواق جديدة لتجارته .. زاد حجم تجارته اكثر .. لم يكتفِ بذلك بل إنه انظم لإحدى

القوافل المتجهة جنوبا ... إلى أعماق القارة ... ليكتشف أسواق جديدة .. و للبحث عن مصادرجديدة لبضائع أفضل وأرخص وأثمن وأجود .. وليجرب حظه في ذلك .

توقف قليلا ليرى أثر قصته في نفس مستمعه .. وجده منسجما مع سرده ، مما شجعه على الخوض أكثر في التفاصيل الدقيقة فأردف :

- وصل لبلدنا سكتو ، الذي يقبع بعيدا في أواسط القارة السوداء . . تحيط بنا الأدغال والقبائل المختلفة المتنافرة .. أعجبته أسواقنا وازدادت أرباحه .. فزاد طموحه .. طالت فترة بقائه في بلدتنا . . نصحه أصدقائه من مدن الشمال المقيمون ببلدنا بالبقاء بل والزواج والاستقرار أسوة بغيره من تجار الشمال الموجودين و المستقرين بتلك البلد وما جاورها من سنوات طويلة ، لكنه رفض وبشدة وأصر على رفضه ، كانت حجته أنه متزوج في بلده ، وأن له سببا آخر يمنعه من الارتباط بأي فتاة من أهل ذلك البلد أو غيره . اقترحوا أخيرا أن يتزوج واحدة من بنات أحد تجار عرب الشمال ، المقيمين ببلدنا إذا لم تكن له رغبة بالزواج والارتباط بإحدى بنات تلك البلاد .. وافق على مضض ، قد يكون خوفا وحفاظا وحرصا على ما حصده من النجاح ، خصوصا لعلمه بأن الضرورات تبيح أحيانا بعض المحضورات .

- هل تعني انه ربما خاف أن يكيد له التجار بعد أن لاحظوا نجاحه الباهر في وقت قصير .

- أو ربما يكون دعما لوضعه الجديد في البلد .. المهم أنه تزوج بنية عدم البقاء و الاستقرار .. أعلم أصهاره الذين اختار أن يتزوج منهم بأنه لا يستطيع أن يستقر في هذه البلد طويلا .. فهو في انتظار قافلة متجهة شمالا ، كما أنه لا يستطيع أن يعود بزوجته معه لبلاده في أقاصي الشمال في هذا الوقت . وافقوا رغبة في مصاهرة رجل من الشمال ، وكذلك لأنه تاجر ناجح وقد ينالهم من نجاحه الكثير من الخير وأملا أن يحظوا منه بمولود.

واصل سرده قائلا :

- تأخر وصول قافلة تحمله لبلده مباشرةً ... واستمر في تنقلاته وتجارته في المناطق المجاورة .. حقق نجاحا باهرا ، منقطع النظير في زمن قصير .. ولكن بعد أشهر عديدة من نجاحه وزواجه حدث شيء أزعجه .. وصلت أحد القوافل القادمة من الشمال .. محملة برسالة من أهله وذويه ... شديدة اللهجة عنيفة العبارة .... يعلمونه فيها بسرعة وضرورة العودة والحضور حالا إلى بلده الذي لم يذكره لزوجته ولا لأحد حتى ذلك الوقت .. كل ذلك الوقت مضى دون ان يعلم احد موطنه الاصلي .. كل ما يعرفونه عنه انه من تجار الشمال وهذا وحده كاف لمصاهرة رفيعة في ذلك الوقت .

توقف يوسف لرشف كوبٍ من الشاي الأخضر الذي أعده لهم صاحب البيت الأثري كعادته مع زبائنه وزوار بيته فقال :

- أظن أن أحد تلك الأسباب التي لم يذكرها لهم عن سبب عدم استطاعته للزواج هو الوصية .

- الوصية ؟.
- نعم الوصية .... إذا ثبت أن جدكم هذا من هذه الواحة ويمت لنا بصلة قربى فالوصية فقط هي التي تمنعه من الزواج والاستقرار بعيدا عن بلدنا هذا وعدم احضاره لزوجته من هناك .
- أية وصية ؟ .
- لقد ترك لنا أوائلنا وصية ... تنهانا عن أربعة أشياء ... بل تشددوا في النهي فيها : أولاها وأهمها على الإطلاق عدم الزواج من بنات السودان أي ما يسمى اليوم ببلاد إفريقيا .. والثانية وهي أقل أهمية عدم العمل مع السلاطين من الولاة والأمراء والحكام والوزراء وغيرهم من ذي النفوذ ولا التقرب إليهم . والثالثة أن لا يتوغلوا في أعماق القارة للتجارة وغيرها ووضعوا حدا لا يتجاوزونه في التجارة وأن يستعينوا بغيرهم من الوكلاء والأجراء والقوافل الأخرى في تسويق بضائعهم في الأسواق المتناهية في البعد، كما أكدت تلك الوصية على النهي في المتاجرة في الرقيق مهما كانت الظروف والأرباح .
- هذا ما يفسر الرسالة المرسلة لجدنا من عند قومه مع قافلة قادمة من الشمال تطلب منه الحضور والعودة فورا .
- نعم هذا حل لأحد ألغازك الكثيرة .
- كما أنه لم يصرح بالبلد التي جاء منها ولا التي هو ذاهب إليها كما أنه لم يترك خلفه أي أثر يدل عليه إلا هذه الألغاز حتى يصعب الوصول إليه وكشف سر زواجه عندنا .

- ألم تقل أنه قد تزوج واحدة من بنات تجار الشمال المقيمين في بلدكم فهذا لم تذكره الوصية .

- نعم ولكنه رحل ولم يعد ، وتقول الروايات عندنا أنه ترك هذه الوصية مكتوبة عند زوجته التي يبدو انها كانت حاملا بابنه قبل أن يرحل عنها إلى الأبد .

- في الوثائق الموجودة الآن و التي بحوزة العائلة لم أقرأ ولم يذكر أن احد تزوج أو عاش خارج بلدنا غدامس ، أو أن أحد ترك عائلة خارج البلد ، برغم حرصهم على ذكر كل كبيرة وصغيرة ومهما كانت أهميتها وتدوينها وتوثيقها .

- هذا أحد أسباب حيرتنا وعجزنا عن الوصول إلى هذه البلاد منذ وقت ليس بالقصير .

رد مبتسما :

- لا تنس أنه حتى الآن لم يتضح شيئا عن وجود علاقة عائلية بيننا فكلها تخمينات .

- يبدو أن جدنا كان حريصا كل الحرص على أن لا يعلم أحدٌ من معارفه بسر زواجه من خارج بلده فكتم أمر الزواج .. كما انه صعّب طريق الوصول على ذريته إن وجدت بعده على الأقل أثناء حياته .. فوضع لغزا .. يجب حله قبل كل شيء .. لمن أراد الوصول إليه والإلتحاق به .

- هذا تحليل منطقي .. قد يقربنا خطوات لحل هذا اللغز .

- هل يوجد في عائلتكم من يحمل اسم سعدالدين .

- لا اخفي سرا إن قلت لك أنه يوجد في العائلة من يدعى سعدالدين فهو اسم شائع في اسرتنا كما لا أخفي سرا إن قلت لك إن لسعدالدين هذا أخ اسمه محمد الإمام هو جدنا وعميد الأسرة الذي تلقبت الأسرة فيما بعد بإسمه وعرفنا بعائلة الإمام ، وأريد ان أضيف لك أن سعدالدين هذا كان تاجرا ماهرا أيضا ، ففي عهده تملكت الأسرة معظم عقاراتها واملاكها حسب ما تقوله الوثائق وتبوأت مكانة اجتماعية رفيعة كما كان له رحلة واحدة للحج ومثلها للسودان وغيرها لتونس وطرابلس وبلاد الجزائر ، و لم تحدد الوثائق الموجودة البلاد التي ذهب إليها بأرض السودان .

- وهل له عقب باقٍ إلى الآن .

سأل متلهفا لسماع باقي حديث رفيقه :

- نعم .... كانت له ابنة اسمها فاطمة .. وحيدته .. لم ينجب غيرها .. او هذا ما تقوله الوثائق التي بين ايدينا .. تزوجها أحد أبناء عمومتها ولا يوجد لها عقب حي الآن .

- هذا يعني أنه ليس له عقب من الذكور؟ .

- قبل حضورك لبلدنا لا يوجد له عقب ... وبعد حضورك الآن يجب أن نعيد قرأة ودراسة كل شيء بهدوء وحرص .. قبل الإجابة والتأكيد على أي استفسار .

ساد صمت بين الشابين ونظر كل منهما في ملامح الآخر كأنه يحاول إيجاد ما يجمع بينهما من صفات .. قطع يوسف فترة الصمت هذه قائلا :

- هل لك أن تبين لي سبب النهي عن تجارة الرقيق كما تقول الوصية التي بحوزتكم ، علما بأنها كانت رائجة وتدر أرباحا طائلة على من يتعاطاها في ذلك الوقت .

- لا أدري بالضبط ، لعله ورع ديني ، وفي الغالب الحرص على عدم اختلاط الدماء بالدماء ، لأنه لا بد لتاجر الرقيق من أن يتخذ له صفية تعجبه من إمائه اللاتي يتاجر بهن ، قد ينال عقبها منه بعض الحرمان أو الضياع أو عدم إلحاقه بنسبه وغير ذلك من المشاكل المماثلة التي تحدث في مثل هذه الحالات وتلك الظروف خصوصا في ذلك العهد .

- هل هناك أسباب أخرى غير الوصية ؟ .

- و أظن أن أهم سبب كان يمنعه من الزواج هناك هو القيد .

- أي قيد ؟؟ .. بتُ لا استوعب كثيراً مما تقول .

- إن حياة الإنسان في مجتمعاتنا تشبه إلى حد كبير السلسلة المتعددة الحلقات ، كل حلقة مربوطة بالتي قبلها ، وبالتي تليها ، والفرد منا يعتبر الحلقة الأخيرة في هذه السلسة ، فهو مربوط بالحلقة التي قبله المتمثلة بوالديه المربوطين بباقي السلسلة المتمثلة بالأجداد وهكذا ، ويظل هذا الإنسان يحاول ويصارع من أجل التنصل من الحلقة التي تسبقه بشتى الطرق والوسائل ، وغالبا ما يفشل ، وما أن يتزوج حتى يضيف لعنقه قيدا آخر و حلقة أخرى ، فتصعب محاولة الإنفكاك أكثر فأكثر ، والولد هو الحلقة التي تلي حلقته والتي تقيده أكثر مع باقي حلقات السلسلة ، فيستحيل

معها الانفكاك إلى الأبد ، فيركن ويستقر ويهدأ ، وكلما طالت به الحياة وتقدم به العمر ازداد عدد تلك الحلقات بزيادة عدد الأولاد والأحفاد وهكذا .

أضاف لهذا التحليل :

- ما دام الإنسان يعيش في مستوطنة بشرية فستربطه قيود كثيرة بهذه المستوطنة .. فهو مربوط بقيود القبيلة وقيود الأبوة وقيود العادات والأعراف وقيود الوصايا ، وكل هذه القيود يمكن للإنسان أن يُعذر في مخالفته لها أو محاولة التنصل منها .

- أما قيد الأبناء فمن المستحيل أن يتنصل منه الإنسان أو أن يهرب منه ، فهذا القيد الوحيد الذي يقيده بمستوطنته وبلده وأهله فهو يستطيع أن يفك جل قيوده قبل أن يقيد بهذا القيد ، فبمجرد أن يوضع على عنقه يفقد أمله في التحرر ويفقد كذلك آخر بقايا المقاومة للتنصل من قيوده السابقة . فيُجبر على البقاء والاستقرار والاستكانة .. وهذا هو الذي نفّر جدك من الارتباط بأحد بنات بلدكم خوفا من القيد الذي اسمه الولد .

- كيف تفسر سير الأحداث اذا ؟ .

سأل رفيقه مقاطعا :

- تحليلي البسيط لمجريات الأحداث ، اولا وصول القافلة إلى بلد ما .. ثانيا مرض الشاب سعدالدين بعد نجاحه في رحلة تجارته الاولى .. ثالثا عودة القافلة بدون الشاب سعدالدين .. رابعا تجوال سعدالدين في أسواق جديدة ونجاحه أيضا .. خامسا وصوله لبلدكم .. سادسا خوفه من حسد التجار ومؤامرتهم خصوصا بعد عرضهم الزواج من بناتهم لعلهم يستفيدون

من نجاحه وماله .. سابعا زواجه من إحدى بنات التجار في بلادكم خوفا على نفسه وحماية لها ولتجارته إلى ان يغادر مع إحدى القوافل التجارية المتجهة إلى الشمال . ثامنا استلامه لرسالة من ذويه تحثه على العودة وبسرعة . تاسعا سفره وعدم عودته .

اتكأ الشابان على الوسائد الكثيرة التي رصت بانتظام وبطريقة تبرز فيها جمال الألوان وتناسقها .. يفكران كل بطريقته في حلٍ لهذا اللغز ، وبعد دقائق قال يوسف :

- أظن أننا قد تأخرنا في هذه الجولة وأعتقد أنه يلزمنا وقت للراحة بعد هذا الكم الدسم من المعلومات فـ ..

قاطعه قائلا :

- لقد طلبت أن تأتينا وجبة غداء محلية هنا ، لتتذوق طعامنا و شرابنا وبعدها تأخذ قسطا من الراحة حتى يتسنى لنا مناقشة الوثائق التي بحوزتك بذهن متوقد .

- لقد غمرتني بلطفك وكرمك فلم أ .... .

- هذا بعض واجبنا نحو ضيوفنا فما بالك لمن قد يكون ابن عمٍ لنا.

بعد أن انتهى الشابان الصديقان من وجبة الغداء الدسمة التي كانت مليئة باللحم والخضر والفواكه المنوعة .. احتسوا شرابا محليا منعشا .

فتح حقيبته الشخصية .. كانت معه طيلة الجولة .. يحتفظ فيها بآلة التصوير التي التقط بها العديد من الصور أثناء جولته .. ويحتفظ بداخلها

بأوراقه الثبوتية وبعض لوازمه الشخصية . اخرج منها بعض الأوراق وسلمها لإبراهيم الذي قال بدوره :

- هذه صور من وثائق قديمة .

- نعم هذه صور للوثائق التي كانت بحوزة العائلة ، اقرأها بعناية وتدبر ما فيها لعلك تصل إلى حل لما فيها من ألغاز وأحاجي عجزت عن ايجاد حل لها .

- حسنا حسنا . سوف أقوم بذلك اليوم .. غدا سوف نلتقي مجددا .. لاكمال باقي جولتنا السياحية ونكمل ما بدأنا وما يستجد من أمور بعد اطلاعي على ما في هذه الأوراق .

خرجا من البيت .. اتجها معا خارج الأسوار تاركين المدينة الغامضة المليئة بالأسرار والخفايا والغموض خلفهم .

أوصل إبراهيم رفيقه وضيفه إلى فندق الواحة ، وعاد مسرعا إلى البيت ، دخل غرفته الخاصة واستخرج من مكتبته صندوقا قديما متوسط الحجم ، ما إن فتح غطائه حتى انبعثت منه رائحة عبقة و غريبة توحي بقدم محتويات الصندوق .

أخذ نفسا عميقا فقد كانت هذه الرائحة محببة لنفسه ، فكلما اشتمها عاد بخياله إلى الوراء مئات السنين حيث عاش قدماء العائلة الذين سطروا محتوى هذه الأوراق .

أفرغ محتويات الصندوق القديم على أرض الغرفة ، و بدأ عملا يبدو أنه سيكون طويلا و مظنيا ، فهذا هو صندوق المخطوطات والوثائق القديمة الخاصة بالعائلة !!!.

Δ∇ وثائق Δ∇

عند المساء اجتمعت عائلة الحاج عبدالجليل على مائدة العشاء ، كان عشاءً دسما كما تعودوا دائما . تناول الجميع العشاء في صمت على غير عادتهم ، ما هي إلا دقائق قليلة حتى أنهت العائلة عشائها ، طلب الحاج من بناته تزويدهم بأكواب الشاي في غرفة الضيوف على غير العادة .

التحق إبراهيم وأخوه عبدالسلام بغرفة الضيوف ، جلسا على الأرائك ذات الطابع الغدامسي القديم ، انتظر الحاج وابنه عبدالسلام أن يفتتح إبراهيم الحديث . لم يتأخر كثيرا في الدخول في الموضوع :

- لقد قمت اليوم صباحا بلقاء يوسف .. وتجولنا معا في المدينة القديمة .. وقد زودني بصور من الوثائق التي جاء بها .

سأل عبدالسلام :

- وهل وجدت فيها ما يربطه بنا .

- قمت بتصفح وقرأة جميع الوثائق العائلية والتي ذكر فيها اسم سعدالدين .

- إذا ستجد الكثير من تلك الوثائق ... فاسم سعدالدين اسم عريق وقديم وكثير في عائلتنا .

- نعم هذا ما حصل ولكني ركزتُ على الوصايا والعقود والأحباس فقط .. استثنيت الباقي من عقود البيع والشراء والمحاسبات وغيرها من الوثائق .

- فماذا وجدت ؟ .

- وجدتُ الكثير من المعلومات قد يكون لها أثر في معرفة وحل هذا السر .

- لقد أثرت فضولنا .. ماذا وجدت؟ .

- لقد لاحظت شيئا غريبا .. في إحدى الوثائق وهي وصية سعدالدين التي كتبها .

نظرا إليه في لهفة فاردف :

- لقد أوصى بأن يقسم ماله بين أولاده للذكر مثل حظ الأنثيين

سأل عبدالسلام مقاطعا :

- وما الغريب في أن يوصي الرجل لأولاده ؟ .

- الغريب الذي لاحظته ولم أعره بالا من قبل .... أن الوصية ذكر فيها ابنته فاطمة ... ومن سيوجد له من الأبناء

استفسر الحاج عبدالجليل هذه المرة :

- وما الغريب في ذلك ؟ .

- من قرأ ما قرأت من الوثائق والوصايا سيستغرب وسيلاحظ الفرق وإن كنت قد لاحظته من قبل ولم أُعِره اهتماما .

- وما هو الفرق بينها وبين غيرها من الوصايا والأحباس ؟

- في أول قراءة للوثيقة يتهيأ لك أن هناك خطأ إملائيا ، فجميع الوثائق الموجودة عندنا بغدامس التي تخص الوصايا والأرث والأحباس يذكرون فيها الأولاد الذين لم يولدوا بعد بلفظ - من سيولد له من الأبناء كذا وكذا وكذا- .

- وماذا وجدت انت اليوم في وصيته ؟ .

- لقد كتب في الوصية من سيوجد له من الأبناء ، وليس من سيولد له من الأبناء .

قال عبدالسلام مستفهما :

- أنا إلى الآن لم اجد فرقا بين الكلمتين - سيولد وسيوجد - .

اجاب الحاج عبدالجليل عن استفهام ولده :

- اعتقد ان الفرق ليس بسيطاً .

رد عبدالسلام منتظرا توضيحا على هذا الغموض

- هل لك أن توضح لي أكثر من فضلك ؟ .

- لأن من سيولد لا يعلمه أحدٌ إلا الله أما من سيوجد .... أعتقد أنه يقصد إلى وقت وجوده بغدامس ، و ليس إلى وجوده في الحياة وإلا لقال من سيولد له كما اعتاد الناس أن يفعلوا في بلادنا حسب ما تخبر به الوثائق .

- فهو موجود في مكان ما إذاً هذا ما فهمت .

- لأنه كان يعلم أن له ولداً سيصل يوما ما لأهله ، لذا قال سيوجد لأنه فعلا موجود حين كتب الوصية .

- واعتقد الآن أنه ترك علامة في مكان ما يُعرف بها لدا وصول أحد منهم إلى غدامس .

أخرج إبراهيم من جيبه صورة الوثيقة التي أخذها من يوسف وبدأ يقرأها بصوت مسموع :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الحمد لله

حبس على بركة الله وحسن عونه ، سعدالدين بن محمد البشير بن سعدالدين بن يوسف ، على جميع أولاده الذكور والإناث ، المولودين له الآن ، ومن سيوجد له من الذكور ، وعلى أولادهم الذكور ، وأولاد أولادهم الذكور ، ما سفلوا وعلى بناته وبنات بنيه ما سفلوا ، ومن تزوج من الإناث فلا شيء لها ما دامت في عصمة زوج ، ومن تأيمت منهن رجعت لحظها ، ومتى احتاجت رجعت لحظها ، الذكر والأنثى فيه سواء ، والغني والفقير فيه سواء ، والأب والابن فيه سواء ، والغائب والحاضر فيه سواء ، وليس لأولاد البنات فيه شيء .

حبس عليهم جميع ما على ملكه ، من ما يسمى مالا ومتاعا ، من قليل الأشياء وكثيره ، من مال العين من الذهب والفضة ، ومن سائر العروض من العبيد والإبل ، وآلات المخزن كالصناديق والخواب وسائر أصناف السلع ، ودوزان السفر كالغرائر والقرب والمزاود والبطط ، وآلات الخدمة كالمسح وغير ذلك مما هو مخلف عنه .

حبس من ذكر ما ذكر على من ذكر ، حبسا صحيحا مؤبدا ، ووقفا مسرمدا ، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم ، وثوابه الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن سعى في تبديله أو تغييره فالله حسيبه ومجازيه وولي الانتقام منه " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

أسند وصيته وعهده لأخيه شقيقه وأمينه على جميع أموره : المكرم الأجل الأبر التقي محمد الإمام بن البشير الأب المذكور .

متى حدث به حدث الموت ، الذي جعله الله تعالى عزما من أمره ، وحتما على جميع خلقه ، لا محيص لكل ذي روح منه ، مفوضا عليه وإليه في جميع أموره ، وعلى جميع محاجيره ومن ولد له ومن سيوجد له .

وأنت يا محمد أنفذ هذه الوصية إذا قضى الله عليّ بالموت ، وصية صحيحة ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم "والله لا يضيع أجر المحسنين" ومن لا يرضى بذلك فالله حسيبه .

شهد عليه بذلك من أشهده وعرفه وهو بحالة جائزة شرعا بتاريخ أوائل ثاني الربيعين من عام خمسة وستين ومائتين وألف الفقير إلى ربه

شهد : عبدالقادر بن أحمد بن يوسف / شهد : سعدالدين على نفسه

انهى قراءة نص الوصية .. نظر لأبيه وأخيه منتظرا تعليقهما على ما جاء فيها فقال الحاج :

- هناك أيضا جملة الحاضر والغائب هل تتكرر دائما في الوصايا الخاصة بعائلات غدامس؟

- عادة لا يذكر الغائب إلا في حالات نادرة مثل استثناء الغائب عن البلد لمدة معينة من الأحباس لحث الناس على العودة لبلادهم وعدم الاستقرار بعيدا حتى يتسنى لهم التمتع بخيرات الأحباس .

- وهذا ما تعتقد أنه أضافها هنا عمدا لعلمه بإمكانية وصول ذريته لغدامس يوما ما .

- هذا استنتاج منطقي .

أضاف إبراهيم على استنتاج أبيه الحاج عبدالجليل :

- كما أنه لم يذكر لقب الغدامسي في نهاية اسمه كما جرت العادة في جميع المكاتبات كما أن الشاهد لم يذكر لقبه .

رد عبدالسلام :

- لأنه لو كتب اللقب لعرف البلد والكاتب فلم يعد هناك لغز ولا احجية .
- وغدا إن شاء الله عند لقائي به سوف نرى بقية ما عنده من الوثائق لعل فيها ما يفيد في فك شيفرة هذا اللغز .

غموض

صباح اليوم التالي ..

التقى إبراهيم بيوسف في صالة الفندق المطلة على اشجار نخيل الواحة القديمة .. جلسا لاحتساء كوبين من القهوة .

- كيف قضيت ليلتك ؟. أرجو أن لا تكون جولتنا بالأمس قد أتعبتيك ؟ .. فقد تجولنا أضعاف أضعاف ما يتجوله السواح عادة ، ورأيت أكثر مما قد يراه أي سائح لبلدنا .

- هذا الفضل يرجع لمرشدي ودليلي المميز .. فلم أكن لأحظى بمثل هذه الزيارة لولا مرشدي هذا ..... وأنت كيف كانت ليلتك ؟ .

- لقد قضيتها في البحث والكشف والتدقيق والمقارنة .

- وعلى ما أسفرهذا البحث والكشف والتدقيق والمقارنة يا ترى ؟

- لقد قمت بمقارنة الوثيقة بالعديد من الوثائق الأخرى التي وردت فيها نفس الأسماء وقارنت تواقيع الشهود الموقعين عليها بتواقيعهم على وثائق أخرى وكذلك فحصت التواريخ .

- فعن ماذا اسفر بحثك ؟ .

- مبدئياً لم أجد في الوثيقة ثغرات .. فالخط وجدت له شبيهاً ومثيلاً في وثائق عدة .. وكذلك الأسماء الواردة للشهود هي لشخصيات من البلد عاشت في نفس الفترة المؤرخة بها الوثيقة ... أما نوع الورق ونوع الحبر كله متشابه ومتقارب للعديد من الوثائق الموجودة عندنا ... كما أن التاريخ الذي كتبت فيه الوثيقة فهو في نفس الفترة التي كان فيها سعدالدين مقيماً في غدامس وهذا شيء مهم للغاية .

- هذا تطور جيد في مجال بحثنا .. نحن اذاً نسير في خط صحيح لحل أحد الألغاز اليس كذلك ؟ .

- نعم وهذا يعني الكثير .. أولاً : إن هذه الرسالة أرسلت لكم بعد عودة سعدالدين من رحلته الطويلة في بلادكم ونواحيها .. ولم يكتبها في بلدكم وهذا كذلك يعني الكثير .

- هذا يعني أنه كتب الوثيقة في بلدكم وأرسلها أو أرسل منها نسخة لبلدنا مع أحد التجار أو الوكلاء لعلمه بعدم قدرته على العودة لبلادنا ثانيةً .

- نعم وهذا يعني أيضا أن هناك صورة لهذه الوثيقة في بلدنا في مكان ما لم يذكره أو لا يعرفه أحد حتى الآن .

- حسنا هذا تقدم كبير .. ماذا استنتجت أيضا .

أضاف مكملاً حديثه :

- لقد لفت انتباهي ترتيب الأسماء في اسمك فهو تكرار لأسماء موجودة في عائلتنا مثل يوسف و سعدالدين وأحمد والبشير فهل لهذا سبب ؟.

- هذه نقطة هامة ... لقد حرصت عائلتنا على ان تكون أسماء أبنائها الذكور خاصة نسخة من أسماء أبائنا في عمود النسب الذي تركه لنا جدنا القديم لا أدري هل هو تفاؤل بها أو حبٌ لها او إكرامٌ لجدنا أو حفظٌ لها أو لشيء آخر غير هذه الأسباب .

- قد يكون تذكيراً لكم حتى لا تنسوا أصلكم البعيد وتحرصوا على الوصول إليه .. الآن سنقوم بجولة بسيطة في ضواحي المدينة لنتعرف على بعض الآثار حتى تكون جولتك كاملة وشاملة بعدها نكمل حديثنا بشأن الوثائق .

بعد انتهاء الشابين من جولتهم .. دخلوا إلى أحدى مقاهي المدينة .. طلبا للراحة ولبعض المشروبات الباردة ، بدأ يوسف الحديث قائلا :

- كلما تعمقنا وتعرفنا على هذه المدينة كلما اكتشفت أنها مدينة عظيمة ومبهرة .. و غامضة كذلك .

- أما زلت تعتبرها غامضة ؟ .

- نعم .. لكنك أزلت الكثير من الغموض الآن .. مازال الكثير ينتظرنا أيضا .. أليس كذلك ؟ .

- أريد أن أسألك .. ما الذي جعلك تعتقد أن جدك أصله من هذه المدينة وليس من بلد غيرها ؟ .

- لقد ترك رسالة عند زوجته .. احتفظت بها طيلة عمرها .. توارثتها العائلة .. وجدتُ فيها الكثير من الغموض ةالإبهام .. بعد محاولات لفك شفرتها توصلتُ إلى أنها لابد أن تكون هذه المدينة وليس غيرها .

- كيف كان ذلك ؟ .. هل يحق لي أن أسمع بعض التفاصيل وأن أرى هذه الرسالة على الأقل ؟ .

- بكل ود وسرور .. هذا من حقك .. تفضل هذه صورة من تلك الرسالة التي تركها لزوجته قبل رحيله لعلك تكتشف منها شيئا .. أوتستطيع تأكيد استنتاجاتي وتزيل باقي الغموض .

أخذ منه الورقة المنسوخ على ظهرها صورة الوثيقة القديمة وبدأ في قراءتها :

- الحمد لله .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليم كثيرا .

هذا ما عاهد به المكرم سعدالدين بن محمد البشير بن سعدالدين بن يوسف استعدادا للقاء ربه وتهيأ للموت المحتوم الذي لابد منه ولا محيد لمخلوق حي عنه وخوفا من فجأته وارتقابا لصرعته ، أنه يشهد لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة والتبليغ ، ويشهد أن كل ما جاء به حق و صدق شهادة عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث إن شاء الله .

أنه يوصي في حال صحته وطوعه وجواز أمره بما أوصى به إبراهيم الخليل بنيه و يعقوب : "يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون" .

اعلموا يا أبنائي أنكم ستقدمون على قوم ذوي دين ، وأصحاب تجارة وعلم وحرص وأهل كرم .

لن يبخسوكم حقكم وسوف ينزلونكم منزلتكم التي تستحقونها ويقدرون لكم قدركم الذي أنتم أهل له .

ولكن دون ذلك سيوف وسيوف وأي سيوف . .. لا يحسنون ضرب السيوف لكن يحسنون دفع ضاربها عنهم فاحذروهم ولا تكونوا عندهم غافلين فطالما سقط عدوهم في شراكهم دون قتال ولا إراقة دماء ولكن بالمكر والدهاء والحيلة وحسن التدبير . قوم قد حباهم الله بحسن التدبير وجودة الصنعة واتقانها ، فهم قوم تجارة وصناعة وزراعة وعلم وقلم .

طوعوا النحاس فصار عندهم ليناً هيناً بل صيروه طيناً سكّوا وسبكوا منه كل ما يحتاجون إليه من عدة وعتاد وآنية فحملت مدينتهم ذات يوم اسمه .

أما منازلهم وبيوتهم فما هي إلا قصور جعلوا في وسطها لنسائهم خدوراً .

فلا يوجد منها بيت إلا وسوروه بالنحاس وحصنوه بالزجاج حتى يحير الداخل من كثرته وجودته ودقته ومهارتهم في استخدامه .

أبنائي :

إذا قدمتم فلا تدبروا حتى تصرعوا اللبوة في عرينها وتشقوا عنها صدرها الذي ليس كالصدور سعة و قوة ومنعة .. فستجدون حينها ما يرضيكم وسيرضا حينها من لا يرضاكم .. حينها تكونون انتم انتم وحينها يرضون عنكم ويرضون عني .. يعلمون أنكم من صلبهم قد خرجتم وإلى حضنهم قد عدتم ولرفقتهم قد اشتقتم وحينها يعود لكم اسمكم الذي به تتسمون .. ورزقكم الذي تستحقون .. وتقسمون معهم مالكم الذي لكم ومالهم الذي لهم فيصير شيئا واحدا كما كان .

الفقير لمالك يوم الحشر و الدين
سعدالدين بن محمد البشير
بن سعدالدين بن يوسف
كان الله لنا ولكم آمين .

أنهى قراءة الوثيقة .. انتظر تعليقاً على فحوها من رفيقه فقال :

- لقد تركها جدنا قبل رحيله ملغزاً لها ومحاولاً أن يجعلها مبهمةً أو بلغة عصرنا مشفرة ، فهل لاحظت فيها شيئا ما ؟ .

- من قراءة سريعة وملاحظات عابرة أظن ان الأسلوب هو نفس الأسلوب الذي يبتدأ به هذا النوع من الوثائق في بلدنا .

- وماذا أيضا ؟ .

- ومن خلال خبرتي ، فنوع الورق كما يبدو من نسخة الوثيقة التي بين يدي الخط ولون الحبر كذلك هو من نفس النوع الذي يستخدمه التجار في تسجيل وتدوين أصناف البضائع التي يتعاملون بها

- وهل هناك فرق في نوع الورق والحبر ؟ .

- نعم فنوع الورق والحبر المستخدم في أعمال التجارة يكون عادة من نوع أقل تكلفة وأقل جودة .

- وهل هناك سرّ ما أو سبب أيضا في ذلك ؟ .

- السبب بسيط فالورق والحبر ذو الجودة العالية والكلفة الأغلى يستعملونه في الأغراض الأهم مثل حجج العقارات وكتابة الكتب والمخطوطات التي تحمل معلومات هامة ، فالوثائق التجارية تستعمل في رحلة تجارية واحدة فقط ويستغنى عنها أي ما يسمى بلغة اليوم ورق الفاتورة .. لذا يستعملون نوع أقل كلفة فالمسألة مسألة اقتصادية ليس إلا .

- يبدو أن قومك لا يعملون شيئا إلا ويحسبون له كل حساب .

- و لكن هل لك أن تخبرني الآن كيف فهمت انت فحوى هذه الرسالة وكيف بنيت استنتاجاتك على ضوء فهمك ؟ .

أخذ يوسف بسرد الأحداث التي مر بها خلال بحثه عن حل للغز :

- كان والدي دائما ما يحدثنا عن جدنا ذلك وكان يحرص في كل مناسبة على أن يحدثنا عن موقف من مواقفه القليلة التي حفظناها عن ظهر قلب وكنا دائما ما نحب أن يقصها لنا ولا نمل منها رغم قلتها فقد نقلتها زوجته لأبنها الذي بدورها نقلها لأبنائه وهكذا .. أما أنا فأصبح في نظري قدوة

وأسطورة وكلما سألنا عن قبره أو بيته أو مكانه قيل لنا إنه هناك في الشمال .. هناك بعيداً ، وكلما استفسرنا عن سبب بعده ذلك قيل لنا عندما تكبرون سوف تعرفون ، فكبر في نفسي حلم معرفة جدي هذا ومكانه ذلك البعيد والوقوف على قبره والترحم عليه .

- بداية مشوقة .

استرسل دون ان يعبأ بتعليق رفيقه :

- فلما كبرتُ كان همي وشغلي الشاغل معرفة كل ما يتعلق بجدي هذا دون سائر إخواني وابناء عمومتي ، مع الوقت لمس والدي حرصي هذا وحبي آثرني بالكثير من التفاصيل الأكثر دقة .. وذات مرة أخبرني بوجود بعض الأوراق التي تركها لزوجته جدتنا الكبرى .. لم تسعني الفرحة بهذا الخبر .. فطلبتُ منه اطلاعي عليها فوراً .. لم يبخل عليّ بها .. ما أن قرأتها حتى زاد إصراري على المعرفة أكثر من ذي قبل .. بدأت رحلة البحث والتنقيب من ذلك اليوم .

- وكيف كانت البداية ومن أين ؟ .

- بدأت بقراءة الكثير من الكتب والأبحاث التاريخية التي تتناول تاريخ بلادنا القديم ، ومن خلالها عرفت الكثير من المعلومات .. من ذلك مثلا أن لبلادنا علاقات تجارية قديمة مع الكثير من مدن الشمال .. حاولت حصر بحثي في مدينة أو اثنتين حتى يسهل لي أمر البحث .. ففكرتُ أن جدنا لابد أن يكون قد ترك أثراً أو علامة في الوثائق التي تركها .. لأنه لا جدوى من

ترك رسالة أو وثيقة لا طائل من ورائها .. فركزتُ جل بحثي فيما بين السطور لعلي أجد فيها غايتي .

- حسناً .. لقد نجحت في إثارة فضولي .
- لنقرأ الرسالة من جديد قرأة متأنية وبطريقة جديدة .
- فلنبدأ بالمقطع الأول .
- المقطع الأول فيه ذكر اسم الكاتب ولقبه .
- حسنا هذا واضح وقد وجدنا له أصلا عندنا فهو إلى الآن أخ لجدنا الأكبر محمد الإمام عميد العائلة .
- أما المقطع الثاني فيقول فيه :

" اعلموا يا أبنائي أنكم ستقدمون على قومٍ ذوي دين و أصحاب تجارة وعلم وحرص وكرم و لن يبخسوكم حقكم و سوف ينزلوكم منزلتكم التي تستحقونها ويقدرون لكم قدركم الذي أنتم أهل له ".

فهذا وصف دقيق لقومه وبني جلدته حيث نعتهم بأحسن الصفات والنعوت التي عرفوا بها بين الناس .

- لننتقل إلى المقطع الثالث .. ماذا فهمت منه ؟ .
- أما المقطع الثالث كما تقول الوثيقة فهو :

"ولكن دون ذلك سيوف وسيوف وأي سيوف "

- عندما ذكر السيوف فأول ما قد يتبادر إلى الذهن أن ما يحول دون الوصول لتلك الديار وجود قبائل كثيرة متناحرة وقطاع طرق وما شابه ذلك من مخاطر الصحراء وما يعتري طرقها .. الأمر الذي قد يفكر المرء كثيراً

قبل الإقدام على مثل هذه الرحلة المحفوفة بأسوء ما في الصحراء من مخاطر .. فربما هذا أحد أسباب عدم الأهتمام بالبحث عنه والوصول إليه من قبل أسلافنا .. أو هذه كانت غايته هو عدم وصولهم إليه في وقت قريب من مغادرته .. أو على الأقل في حياته .. فتكلفة مثل هذه الرحلة غالية وغالية جداً .

لكنه بعد ذلك أضاف كلمة " وأي سيوف " .. لم أجد سببا لأضافتها سوى لأمرين .. إما لتأكيد الخطر او لتوضيح معنى الكلمة .. ففهمت أنه لم يكن يعني بالسيوف النصال والقتال والصراع .. بل سيوف الرمال .. ما يفيد وجود صحاري كثيرة تحول دون الوصول إلى بلده .. فالبلد الذي ينتمي اليه يقع خلف هذه الصحاري .. بهذا تم استبعاد الكثير من واحات الصحراء التي لا تقع في نطاق تلك السيوف التي عناها ..

- رائع .. أكمل .

- أما المقطع الذي يليه فهو يبيّن لهم ما اتصف به قومه وما عرفوا به بين الناس .. وصف يشيد بدهاء قومه وحكمتهم ومسالمتهم .. وعدم تحكيمهم للسلاح .. كما يحذرهم من دهائهم .. فهم معروفون بالحكمة والدهاء المسالمة ، وهذا ينطبق على طبيعة واحتكم والعديد من المدن وهذا ما لم أجده في الكتب التي بحثتُ عنها وهذا يدل كذلك على حذرهم وحكمتهم ، فلم يتوصل أحد إلى معرفة كنائن أنفسهم وما تنطوي عليه من أسرار فهم لذلك غامضون مبهمون ، ولكني لمسته بعد زيارتي هذه واحتكاكي بكم وتجوالي في مدينتكم الغامضة المليئة بالأسرار ..

- حسننا .. ازداد الأمر تشويقا وإثارة .. ماذا أيضا .

- أما عند ذكره للنحاس وعن مهاراتهم في سبكه وتطويعه فقد سهل علي كثيراً فقد ذكرت الكثير من المصادر أن هذه الواحة كانت تجيد صناعة النحاس والتجارة حتى سميت في بعض كتب القدماء ببلد الجلود والنحاس أليس كذلك ؟ .

- استنتاج في محله .. فهي كذلك اشتهرت بدباغة وصناعة الجلود إلى جانب النحاس فلا يذكران إلا معاً ..

- قرأت ذلك وقد اعجبني وصف أحدهم لهذه الصنعة بقوله [1] : "إنها انعم من الخز والحرير والديباج" .. هذا لا ينطبق إلا على هذه المدينة فقط .

- اهنئك على حسن استنتاجك ودقة ملاحظاتك .. ماذا لديك أيضا ؟ .

- أما القصور والخدور والزجاج و النحاس فرأيته وعرفته بعد قدومي ؛ فكل البيوت فعلا تشبه القصور في زينتها وجمالها وكمالها ودقة بنائها وتحصينها بالزجاج كما ذكرت لي أثناء زيارتنا بالأمس أنهم يستخدمون المرايا في التحكم في شعاع الشمس وتوزيعه على غرف البيت ، وكذلك رؤية ما يجري في صحن البيت وممراته وغرفه وطرقته السفلية عن طريق انعكاس الصور في المرايا التي صُفت بطريقة عجيبة لخدمة هذا الغرض العجيب .

- استنتاج منطقي أيضا .. ماذا عن المقطع الأخير ؟ .

---

1 - راجع البكري في كتابه المسالك والمالك وياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان .

- أما المقطع القائل :

- أبنائي : " إذا قدمتم فلا تدبروا حتى تدخلوا العرين وتصرعوا اللبوة فيه .. وتشقوا عنها صدرها الذي ليس كالصدور سعة و قوة ومنعة ... فستجدون حينها ما يرضيكم وسيرضى حينها من لا يرضاكم . حينها تكونون انتم انتم وحينها أرضى عنكم ويرضون عنكم .. يعلمون أنكم من صلبهم قد خرجتم وإلى حضنهم قد عدتم ولرفقتهم قد اشتقتم وحينها يعود لكم اسمكم وتقسمون معهم مالكم الذي لكم ومالهم الذي لهم فيصير شيئا واحدا كما كان "..

أما هذا المقطع فلم أفهم ما يرمي إليه من خلاله .

تناول الورقة منه قرأها مراراً محاولاً فهم ما يرمي إليه المقطع الأخير من الرسالة دون طائل :

- يبدو لي أن هذا المقطع فيه الكثير من الأسرار وكذلك أعتقد أن فيه حل لهذا اللغز لذلك أعطني هذه الوثيقة لأحاول حل غموضها اليوم .. وأرجو عند لقائنا غداً أن نكون قد توصلنا لنتائج أفضل بعد دراستها بتأني .

- حسنا عليّ العودة إلى الفندق فقد طالت جولتنا اليوم أيضا ونحتاج لبعض الراحة حتى نستعيد قوانا لغد .

- أرجو أن تكون قد استمتعت بجولتك اليوم .

- لا يسعني إلا أن أشكر جدي الذي أتاح لي مثل هذه الفرصة للتعرف على مثل هذه البلاد .

- هل تعتقد أنه اتخذ هذه الطريقة الغامضة حتى نتعارف بهذه الطريقة المثيرة .

تباسما .. تفارقا أمام بوابة الفندق على وعدٍ باللقاء في صباح اليوم التالي .

كشف المستور

ما إن تناول غدائه بعد الظهيرة حتى انفرد في غرفة المكتبة جالسا على مكتبه الخاص ، وأخذ يرتشف رشفات من كوب القهوة السوداء التـي يعشق تناولها دائما ، واضعا أمامه صورة الوثيقة التي قرأها معاً أثناء جولتهما في الصباح متأملا فيها متفكرا في فحواها .

مرت ساعتان أو أكثر من الوقت وهو على تلك الحالة من التفكير العميق قرأ الوثيقة مرات ومرات ، حاول أن يستنتج ما يرمي إليه كاتبها ، فكر ومحص وقلّب الأمور على جميع الأوجه .. جرب الكثير من الإحتمالات التي وردت على خاطره ، مر الوقت بطيئا دون الوصول إلى نتيجة مرضية .

استلقى على السرير لأخذ قسط من الراحة قبل العودة من جديد لفحص الوثائق مرة أخرى .. اغمض عينيه محاولا تخيل ما يرمي إليه ذاك الجد .

فجأة هب واقفا والإبتسامة تملأ محياه ، غادر البيت على عجل .. استقل سيارته مسرعا صوب الفندق .

دخل صالة الاستتقبال ، فوجد عامل الاستقبال مبتسما كعادته ، بعد ان تبادلا التحية قال العامل :

- هل من خدمة أستطيع تقديمها ؟ .

- من فضلك هل من الممكن أن تخبر نزيلكم يوسف أني أريد مقابلته الآن؟.

أجرى عامل الاستقبال اتصالا بغرفة يوسف .. مرت دقائق .. كان يوسف واقفا بصالة الإستقبال ، بقوامه الرشيق أنيقا ، وكأنه كان في انتظار هذه الزيارة من قبل ان يتصل عامل الاستقبال به ، مد يده مصافحا قائلا :

- أهلا إبراهيم .. ما الأمر ؟ .... هل من جديد ؟ .

- نعم ... هيا بنا الآن وفي الطريق سوف أخبرك .

خرج الشابان من الفندق ، ما أن استقلا السيارة حتى أسرع بها نحو المدينة التاريخية القديمة المليئة بالاسرار والغموض وربما بالكنوز .

- هلا أخبرتني عما يجري ؟ .. ولما كل هذه السرعة .

- هل أنت مستعد للدخول لعرين اللبوة ؟ .

- أنا في شوق شديد لذلك فأعتقد أن حل اللغز يكمن في ذاك العرين .

- إذا هيا بنا قبل ان يغيب الضوء عن المدينة القديمة .

سار الشابان داخل ازقة المدينة القديمة .. قال إبراهيم لرفيقه :

- أعتقد وأنا غير جازم أن جدك قد أعد لنا جميعا مفاجأة في مكان ما ولعلي أكون قد توصلت لهذا المكان .

- وأين نجد هذه المفاجأة يا ترى ؟! .

- في عرين اللبوة .

وقف الشابان أمام باب احد البيوت في زقاق معتم وضيق ، أخرج مجموعة من المفاتيح القديمة والكبيرة الحجم ، كانت في حقيبة صغيرة اصطحبها معه من سيارته ، أدخل إحداها في فتحة القفل .. أداره عدة دورات .. دفع الباب ليفتح على عتمة السقيفة .. تلمس طريقه عبر الجدار بالكاد تبين طريقه ، سارا بخطوات حذرة .. صعدا الدرج المؤدي لتمانحت[1] البيت ، لبست جدرانها عباءة من الغبار .. كانت خالية من أثاثها:

- أنت الآن في عرين اللبوة .

- هل هذا هو عرين اللبوة الذي اشار إليه جدي ؟ .

- سبق وأن اخبرتك أثناء جولتنا الاولى ان واحتنا جعلت لكل شارع وزقاق اسما يعرف به ... كما سموا جميع البيوت والبساتين والمزارع بأسماء تعرف بها .... فهذا البيت اسمه بلهجتنا المحلية - دان تيسدي – فالكلمة تتكون من مقطعين اثنين احدهم دان وهو يعني البيت والثاني تيسدي[2] ويقصد به انثى الاسد فقد كنى جدك عن هذا البيت بعرين اللبوة إمعانا في التشفير.

---

1 - تمانحت : هي صالة المعيشة بالبت الغدامسي القديم .. توجد في الدور الثاني للبيت المكون من ثلاثة طبقات تفتح عليها ابواب غرف التمانحت وعلى جدرانها توجد عدة خزائن وجدارها الرئيسي يسمى صدر البيت .

2 - تيسدي : اللفظ جاء من الجذر يدي بمعنى هاب وخاف والمعنى العام المقصود هو صفة من صفات اللبوة وهو المهيبة أو المخيفة (اللسان الغدامسي القديم) .

- كما إني لاحظت أنه أورد مقطعا في رسالته يقول فيه :

- أبنائي إذا قدمتم فلا تدبروا حتى تصرعوا اللبوة في عرينها وتشقوا عنها صدرها الذي ليس كالصدور سعة وقوة ومنعة فستجدون حينها ما يرضيكم وسيرضا حينها من لا يرضاكم وسيعترفون بكم – فهذا إذا هو عرين اللبوة -

- ألا يمكن أن يكون هناك بيت آخر أو مكان آخر له نفس الإسم .

- يوجد بيت آخر يحمل نفس الاسم وهو ملاصق لهذا البيت واسمه دان تيسدي متيضن أي اللبوة الصغيرة .

- وما الذي يجعلك متأكدا من أنه يعني هذا البيت وليس الأخر .

- لقد أشار في المقطع أنه يجب عليك أن تشق عن صدرها الذي ليس كالصدور .

أشار إلى الحائط المواجه للداخل لتمانحت البيت :

- لأنه يعني بالصدر هذا الحائط وهو صدر البيت و قبلته كما اسلفت في جولاتنا السابقة ، كما إني لاحظت من فترة أن هذا البيت يختلف عن جميع بيوت غدامس في شيء واحد أساسي ومهم .

- وما ذاك الشيء ؟ .

- هو هذا الصدر فكل بيوت غدامس يجعلون في وسط حائط الصدر على ارتفاع قامة الرجل العادي اثنان أو ثلاثة قوالب منقوشة ومحفورة بزخارف غدامسية مصنوعة من الجبس .. يحيطونها بإطارا من الجبس أيضا ..

يضعونها على مستوىً واحد وعلى أبعاد متناسقة ويسمونها بالشُباك[1] ، يرصعون إطارها الجبسي بأواني مصنوعة من النحاس المصقول كما رأيت في المنزل النموذجي الذي قمنا بزيارته سابقا .

- نعم ما زلت أتذكر ذلك البيت وذلك الشرح فما الذي لفت انتباهك في هذا البيت .

- لفت انتباهي أن صدره أوسع مما يجب .. ويزيد عن المعتاد بشباك إضافي .. عزوت ذلك حينه لسعة حائط الصدر والواجهة ، أو رغبة صاحب البيت زيادة الزخارف وعدد الشبابيك ، إمعانا في الترف أو لعدم وجود سبب مقنع حينها يفسر ذلك .. أما الآن ...

- أما الآن فماذا ؟ .

أجاب مخرجا من حقيبته مطرقة وازميلا .

- أما الآن علينا أن نشق صدر اللبوة .. لنخرج من جوفه السر .

أخذ يتحسس الشبابيك ويطرق عليها محاولا اكتشاف أي شيء يوصله لفك اللغز فسأله حائراً بعد دقائق :

- عما تبحث ؟ .

- أريد أن أرى من أين سنفتح هذه الصدر من خلال أحد شبابيكه .. فوراء إحداها يكمن السر .

1 - ستجد مرفقا بأخر الكتاب صورة توضيحية للشباك في البيت الغدامسي القديم .

طرق على الشباك الذي في أقصى اليسار طرقا خفيفا فأحس من رجع الصوت اختلافا عن سابقيه فقال :

- لاحظ أن هذا الشباك فيه اختلاف بسيط في نقوشه عن الشبابيك المجاورة له .. يبدو انه صنع في فترة لاحقة لصنع رفاقه الثلاثة .. كما يبدو من مظهره أن الصنعة مختلفة بعض الشيء رغم محاولة جعله نسخة مطابقة للثلاثة الأخرين .. هذا عدا أن رجع الطرق عليه يختلف عن غيره .

- نعم هذا واضح ولكن هل هناك سبب لجعله في الطرف أما هي مجرد صدفة .

- أظن أنه وضعه في هذا الجانب لأن خلف هذه الجهة من الحائط لا يدخل في ملكية أحد فهو جزء من حائط مشترك مع الشارع .

- و هذا يعني أنه لن يصل أحد إلى هذا المخبأ إلا من هذه الجهة فقط .

- نعم اظن هذا فما علينا إلا أن نزيل اطار الجبس هذا .. وسنرى بعد ذلك ما يكون خلفه .

صعد على صندوق خشبي مستعمل لحفظ بعض الأواني القديمة ، بدأ يزيل اطار الجبس رويدا رويدا ، بعد دقائق صار لوح الشباك المصنوع من الجبس بدون إطار ، أخذ يتحسس جوانب الشباك بمفك صغير ، يزيل الطين والجبس الذي يثبته ، فجأة صار لوح الشباك بزخارفه ورسومه ونقوشه بين يديه .. ناوله إياه ليضعه على الأرض بحذر قائلا :

- هذه الخطوة الأولى .

طرق على الجدار في الفراغ الذي خلفه لوح الجبس المنزوع :

- لاحظ أن رجع الصوت يدل على أن في المكان تجويفا وكأنه خزانة .
أخذ يتحسس أطراف المكان محاولا فتح هذا التجويف .. تصببت قطرات من العرق على جبينه .. تعرقت كفاه .. بدأ عليه الاضطراب أيضا فقد ظهر لوح خشبي صغير :

- يبدو أنه وضع في داخل هذا التجويف خزانة بباب خشبي .
- إذن هيا افتح الباب لنرى ما يفشي من أسرار صدر هذه اللبوة .

بعد عدة محاولات وبإزالة بعض الطين والجبس ظهر باب خشبي لخزانة صغيرة مقفلة بترباس خشبي صغير ، عالج الترباس قليلا فانفتح الباب عن قلب الخزانة الخاوية إلا من اسطوانتين معدنيتين مغلقتين من الطرفين .. تناولهما ، نزل من على الصندوق الخشبي الذي يعتليه :

- هذا ما أسفر عليه قلب اللبوة ... أسطوانتان معدنيتان لحفظ الوثائق المهمة .
- أخيرا انتهت المغامرة .
- حسنا لنرى ما في قلب هاتين الإسطوانتين أولا .
- هيا إذن وأسرع .

فتح إحدى الإسطوانتين .. أخرج منها وثيقة ملفوفة بعناية بشكل اسطواني محاط بسوار جدلي رقيق ، فك عقدة الخيط وأخذ يقرأ الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا ما عاهد عليه سعدالدين بن محمد البشير بن سعدالدين بن يوسف الغدامسي أنه يشهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة وان ما جاء به حق شهادة عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث .

انه يوصي أخاه محمد الإمام وذلك لأمانته وديانته وأن يعلم أبنائه وأحفاده ومن في ولايته ونظره ولمن يشهد منهم قدوم أبنائه من بلاد سكتو أن يكرموهم و ينزلوهم منزلتهم ويحفظوا لهم مكانتهم ويعطوهم حقهم الذي يستحقونه .

أعلمك يا أخي اني حين اقامتي ببلاد سكتو أرغمتني ظروف التجارة والحرص على السلامة من الزواج هناك ، حماية لنفسي من كيد التجار وحسد الحاسدين باللجوء إلى ظهر يسندني في غربتي وإلى معين يعينني على تجارتي من اهل تلك الديار ، وعندما غادرت تلك البلاد علمت أنه لا عودة لي إليها ، ذلك إني خالفت ما أمر به أوائلنا من عدم التوغل والزواج في بلاد السودان ، مهما كان الربح ومهما كبرت الفائدة ، ولكن ليس للمضطر رأي وإني تركت أهل بيتي الكرام مع حمل ظاهر بها وعدت على عجل وإني أسأل الله ان يغفرلي زلة تركي لهم وعدم إحضارهم والإرسال لهم في حياة والدي غفر الله لنا وله ، لما علمت من شدته و غضبته وخوفا من ان يموت وهو عني غير راضٍ ، وكنت ارجو إن مد الله في عمري أن إرسل من يحضرهم ويعود بهم ، وما يخفف عني أني قد تركت لها ولحملها إن كتب الله لهما السلامة ما يعيشا منه من العقار والمال بعد أن فتح الله عليّ

منه الكثير في تلك البلاد ، و إلى أن يصل احد منهم واظن أن ذلك سيطول ولن يكون على الأقل في حياتي ، فإذا كان ذلك وأنت حي فاستحلفك بالله أن تكون لهم عونا وسندا ويدا وأن اطّلع أحد منكم على هذه الورقة قبل وصولهم فليعلم أنه قد يكون لهم أهل في بلاد سكتو وإخوان فعليهم بالسعي للبحث عنهم والتواصل معهم ومن نكرهم وأبعدهم وظلمهم فالله حسيبه وولي الانتقام منه إنه ولي ذلك و القادر عليه .

استدراك كان حملها حين سفري من تلك البلاد في شهرها الخامس نسأل الله ان يحفظهما .

انتهى إبراهيم من قراءة الورقة الأولى .. نظر إلى صديقه فوجده يغالب دمعة تترقرق في مقلتيه .. فتح الاسطوانة الثانية .. أخذ يقرأ على ما فيها على مسامعه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حبس على بركة الله وحسن عونه سعدالدين بن محمد البشير بن سعدالدين بن يوسف على جميع أولاده الذكور والإناث المولودين له الآن ، ومن سيولد له من الذكور وعلى أولادهم الذكور ، وأولاد أولادهم الذكور ، ما سفلوا وعلى بناته وبنات بنيه ما سفلوا ، ومن تزوج من الإناث فلا شيء لها ، ما دامت في عصمة زوج ، ومن تأيمت منهن رجعت لحظها ، ومتى احتاجت رجعت لحظها ، الذكر والأنثى فيه سواء والغني والفقير فيه سواء والأب والإبن فيه سواء والغائب والحاضر فيه سواء ، وليس لأولاد البنات فيه شيء .

حبّس عليهم جميع ما على ملكه من ما يسمى مالا ومتاعا من قليل الأشياء وكثيره من مال العين من الذهب والفضة ومن سائر العروض من العبيد والإبل وآلات المخزن كالصناديق والخوابي وسائر أصناف السلع ودوزان السفر كالغرائر والقرب والمزاود والبطط وآلات الخدمة كالمسح وغير ذلك مما هو مخلف عنه .

حبّس من ذكر ما ذكر على من ذكر حبسا صحيحا مؤبدا ووقفا مسرمدا لا يباع ولا يوهب ولا يورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها قاصدا بذلك وجه الله العظيم ، وثوابه الجسيم والله لا يضيع أجر المحسنين ومن سعى في تبديله أو تغييره فالله حسيبه ومجازيه وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

أسند وصيته وعهده لأخيه شقيقه وأمينه على جميع أموره المكرم الأجل الأبر التقي الإمام بن البشير الأب المذكور .

متى حدث به حدث الموت الذي جعله الله تعالى عزما من أمره وحتما على جميع خلقه لا محيص لكل ذي روح منه مفوضا عليه وإليه في جميع أموره وعلى جميع محاجيره ومن ولد له ومن سيوجد له .

وأنت يا محمد أنفذ هذه الوصية إذا قضى الله عليّ بالموت وصية صحيحة قاصدا بذلك وجه الله العظيم والله لا يضيع أجر المحسنين ومن لا يرضى بذلك فالله حسيبه شهد عليه بذلك من أشهده وعرفه وهو بحالة جائزة شرعا بتاريخ أوائل ثاني الربيعين من عام خمسة وستين ومائتين والف الفقير إلى ربه

استدراك له من الأبناء في غدامس الان فاطمة وله في بلاد سكتو زوج حامل فإن ولدت الحق بأخته وما سيكون له بعد من الأبناء .

عبدالقادر بن احمد بن يوسف وشهد بنفسه على نفسه سعدالدين المذكور

انهى قرأة الوثيقة الثانية ، التقت نظرات الشابين من جديد ، فرت دمعتان من مقلتي يوسف الذي حاول إخفاء مشاعره الجياشة فلم يستطع ..

قطع إبراهيم الصمت بقوله :

- انه نفس نص الوصية الأولى وهناك اختلاف بسيط في كلمة سيولد التي كانت سيوجد في الوثيقة السابقة كما أن سطر الإستدراك الذي ذكر فيه الحمل كتب بعد كتابة الوصية وبخط أصغر كأنه حشر حشرا في الوصية .

- هذا واضح وجلي

- كما أن التاريخ هو نفس التاريخ الذي أرخت به الوثيقة السابقة.

- هذا معناه أنهما نسختان لوثيقة واحدة ما عدا هذين التعديلين .

- نعم ويبدو أنه أضاف سطر الاستدراك بعد كتابة الوثيقتين إما بعلم الشهود وإما بدون علمهم والأغلب أنه بدون علمهم إمعانا في التشفير والسرية .. ولكن هذا لا يمنع أن اللبوة أفشت السر الذي احتفظت به في صدرها لسنين طويلة .

- لكنها لم تبح به إلا بعد ان صرعناها وشققنا عن صدرها .

- لولا حرصك وحسن تحليلك للوثائق لما وصلنا لحل هذا اللغز .

- ولولا اهتمامك بالمخطوطات والوثائق والتراث القديم لما استطعنا فك الجزء المهم من اللغز والذي قد يستغرق سنين أطول .

- وربما لو أن أحدا فتح هذه الخزانة لظرف ما مثل تجديد البيت أو إجراء بعض الإصلاحات بها لعرف السر قبل هذه السنين ولكن .... يبدو أن جدك اختار المكان الذي لا تصل إليه إلا يد من قرأ هذه الوثيقة فقط .. هكذا خطط للامور وهكذا سارت .. رحمه الله .

- نعم وهذا ما يزيدني إعجابا به وبكل ما قام به .

مرت لحظة صمت بينهما قطعها إبراهيم بقوله :

- اهلا بك بيننا يا .... ابن عمي

تحاضان طويلا كأنهما يلتقيان بعد دهور من الغياب أو كأنهما يعودان بالوقت لسنين طويلة خلت ليصلا ما انقطع .

العشاء الأخير

في مساء ذلك اليوم اجتمعت العائلة في بيت الحاج عبدالجليل لتناول طعام العشاء ، وللتباحث في أمر الشاب الزائر ، ومعرفة النتائج التي وصل إليها إبراهيم في اليومين السابقين ، وما نتج عن مرافقته ليوسف خلالهما ، كما أن بعض أبناء العائلة المقيمين بطرابلس ما إن وصلتهم الأنباء عن الشاب الزائر ، وقصة ادعائه إمكانية أن يكون هناك علاقة عائلية تربطه

بالعائلة حتى تركوا ما بأيديهم من أعمال ، وجاءوا ليشاركوا في حل هذه المعضلة .

وقفت السيارة التي كانت تسير بسرعة متوسطة أمام البيت .. كان من السهل معرفة ان العائلة مجتمعة في البيت من خلال السيارات الكثيرة المركونة امام البيت .. ابتسم ليوسف وقال :

- يبدو أن أبناء العائلة في اجتماع الآن وهم بانتظار قدومي .

- هل تعتقد انهم سيـ..... .

- لندخل ولنرى ما يكون ، وأعتقد أنها فرصة ممتازة للتعارف مع معظم أبناء العائلة ، فهذه سيارات أبناء عمومتنا القادمون من طرابلس بعد سماعهم بنبأ حضورك .

- حسنا هيا إذن .

دخل الشابان على صالة الضيوف ، وقف الجميع بعد رؤيتهم للشاب الذي بصحبة إبراهيم ، اخذ الجميع يتفرسون في وجه الشاب محاولين ايجاد شيء ما في ملامحه يربطهم به ، لم تطل فترة الصمت التي قطعها إبراهيم بقوله :

- أقدم لكم ابن عمنا .... يوسف .

سكت الجميع قليلا .

قطع الصمت صلاح الإمام قائلا :

- أهلا بك بيننا نزلت أهلا وحللت سهلا .

أخذ الحضور بالترحيب به ، والتعريف بأنفسهم ، بعدها جلسوا فقال عبدالسلام :

- لنتناول طعام العشاء أولا وبعدها تحدثوننا بالتفصيل الكامل عن كل ما جرى خلال الأيام السابقة .

بعد الأنتهاء من العشاء .. أخذ الجميع أماكنهم استعدادا لسماع القصة التي شغلتهم طيلة الايام القليلة الماضية .. ما أن دارت أكواب الشاي الأخضر بين الحضور حتى استهل الحاج عبدالقادر الحديث بصوته الخافت وضحكته المكتومة قائلا :

- نحن الآن على استعداد لسماع القصة من أولها .

أجاب بعد أن تبادل مع صديقه النظرات والابتسامات :

- بدأت هذه الأحداث قبل أكثر من مائة عام ، ذهب الحاج سعدالدين اخ الحاج الإمام الاكبر والوحيد رحمهم الله جميعا في تجارة العائلة مع إحدى القوافل المتجهة نحو بلاد السودان ، نجح في عمل بعض الصفقات التجارية ، فاتجه جنوبا إلى أن وصل لبلاد سكتو ... نجح نجاحا منقطع النظير .. اضطر إلى أن يتزوج من إحدى بنات العائلات المقيمين بتلك البلاد والمهاجرين لها من مدن الشمال .

سأل صلاح الإمام مستفسرا :

- وما الذي أجبره على كل هذه السرية ؟

- أولا هناك وصية من أوائل العائلة بعدم التوغل في القارة وعدم الارتباط ببنات السودان ... كما ان والده كان شديد المراس كسائر ابناء هذه الواحة في مثل هذه الأمور ، فخشي من غضبته وعدم رضاه عنه فكتم الأمر ،

خصوصا أنه خالفا أمران من الوصية وليس امرا واحدا يمكن التغاضي عنه : الزواج والتوغل في بلاد السودان .

سأل محي الدين بدوره :

- ولماذا لم يخبر به أحد من إخوته أو من بني عمومته ؟ .

- اكتفى بإرسال رسالة مع بعض التجار لتلك البلاد ، وأظن كتمانه لهذا السر كان سببا موته في ريعان شبابه كما تشير الوثائق ، ربما تأثرا وحزنه الشديد على بُعده عن زوجته وجنينها ، وعدم معرفة ما جرى في الحمل الذي كان بها قبل مغادرته ،.... هذا هو الجزء الأول من القصة .

أضاف صلاح مرة اخرى

- أكمل لنا باقي الأجزاء حتى تكتمل الصورة .

- بعدها قام الحاج سعدالدين بكتابة وصيته كما جرت العادة هنا.. أخفى منها صورة وبها بعض التعديل في مكان ما ولم يخبر به أحد وأرسل صورة أخرى هي نفس الرسالة التي أنهينا بها الجزء الأول من حديثنا

- وماذا بعد هذا ؟ .

- جزء من القصة جرت احداثه في مكان ما بعيدا عن الواحة ... وضعت زوجة الحاج سعدالدين حملها .. كان ذكرا .. سمته **يوسف** .. بعد أن كبر أخبرته بما كان من أبيه .. أعطته الرسالة التي تركها والأخرى التي أرسلها .. فتوارثها الآباء والأبناء .. لسبب ما يعيروها الاهتمام اللازم ..إلى أن وقعت بيد يوسف هذا الذي هو أمامنا .. فحاول فك اللغز والوصول لأهل أبيه وجده .

نظر الجميع إلى يوسف .. كان عليه إكمال الجزء الخاص به في هذه القصة فقال :

- نعم منذ الصغر وهم يحدثوننا عن جدنا ، وعن براعته في التجارة .. وحكمته في ادارة شؤونه .. صار في نفسي مثالا ، بل أسطورة عظيمة ، فلما كبرتُ وأحس والدي بتعلقي الشديد بتاريخ هذا الجد وحبي لذكره دائما والسؤال عنه واعتزازي كثيرا به أخبرني بأمر الرسالتين .

أخذتُ الرسالتين .. بدأتُ رحلة البحث لفك هذا اللغز ، والحمد لله نجحت أنا في جزئه الأول . ونجح إبراهيم في حل باقي اللغز واكتملت الصورة .

تبادل الشابان النظرات والإبتسامات مما أضاف شيئا من التشويق للحضور ، فأخرج الرسائل والوثائق التي كانت بحوزتهم فتناولت الأيدي هذه الوثائق بالقراءة والمراجعة .

بعد مضي وقت في القراءة والإستماع سألهم الحاج عبدالجليل قائلا :

- وأين وجدتم اللبوة حتى شققتم لها صدرها ؟ .

- كان يقصد بذلك البيت الكبير الذي تملكه العائلة واسمه بلهجة غدامس القديمة - **دن تيسدي** – أي بيت اللبوة كما أشار إلى أن صدرها ليس كالصدور وهو فعلا كذلك فكان به عدد أربع شبابيك على خلاف المعتاد في بيوت غدامس فقمت بفتح احد هذه الشبابيك فوجدنا فيها هاتين الوثيقتين الهامتين .

أخرج لهم الوثائق التي وجداها في الخزانة التي في صدر اللبوة فتلقفتها الأيدي لقرائتها .

قال الحاج عبدالقادر مبتسما كعادته :

- تبدو الأمور واضحة وجلية الآن على ما اظن .

بدأ الأسئلة تنهال على يوسف من كل اركان المكان عن أهله وإخوانه وبلاده وهو يجيب على تساؤلات أبناء عمومته الجدد بكل رحابة صدر ..

اختتم محي الدين سيل الاسئلة :

- والآن .. ماذا ستفعل بعد أن عرفت كل هذه المعلومات وكشفت كل هذا الغموض .

- ساعود لبلادي .. أخبرهم بأن لهم أهلا وأحبابا وأبناء عمومة يجب أن يفخروا بهم كل الفخر ، وقد نقوم مستقبلا بزيارة أوسع مع العائلة للتعارف والتآلف ، ووصل ما انقطع من روابط العمومة .

- قبل ذلك هناك مكان واحد يجب علينا أن نزوره غدا .. بعدها لك أن تفعل ما تشاء .

- حسنا وأنا طوع أمرك يا .... بن عمي .

وداع

في التالي كان موعد مغادرته للواحة قد حان .. لم يعد هناك من ضرورة لبقائه اكثر .. كان في شوف لحمل نتائج رحلته إلى المنتظرين هناك في اقاصي افريقيا السوداء ..

التقيا ، ذهبا لزيارة ذلك المكان الذي وعده به . توقفا أمام سور ممتد ، له عدة أبواب سأل إبراهيم :

- هل تعلم ما هو هذا المكان ؟ .

- ومن أين لي أن أعرف ما لم تخبرني .

- حسنا ... هذه مقبرة الواحة .. ومن هذا الباب سندخل لمدافن العائلة فتح الباب . دخلا .. قطعا عدة خطوات .. بدت القبور متشابهة في الشكل ، مختلفة في الحجم ، منتشرة في كل مكان خلف السور ، لا يُعرف بعضها من بعض إلا بعلامات وضعها أهالي الموتى ، نُسيت تلك العلامات بمرور السنوات وجُهلت جل القبور .. احتفظت بعضها بشواهدها القديمة .

تعمقا .. وقفا امام إحدى القبور القديمة .

- هنا يرقد جدك سعدالدين بسلام .

جثا يوسف على ركبتيه مقابلا للشاهد الموضوع أعلى القبر ، والمصنوع من طين محروق ليقرأ ما حفر على اللوح :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

هذا قبر سعدالدين بن البشير

بن سعدالدين بن يوسف

توفى أوائل ذي القعدة عام 1278هـ

كان الله له آمين

لم يقاوم دمعتين انحدرتا على خديه وهو يتلو ما كتب على شاهد القبر ، نهض واقفا على قدميه .

تلى الشابان بعض الأدعية ، اتجها بعدها نحو الباب ، قبل ان يركبا السيارة قال يوسف :

- أشكرك كثيرا على ما بذلته من جهود من أجلي ، أرجو أن لا أكون قد أخرتك عن أعمالك .

- هذا أقل ما يمكن تقديمه لضيوفنا . فما بالك بابن عمومتنا

اتجهت السيارة مسرعة في اتجاه مطار الواحة .

تمت بحمد الله وحسن عونه

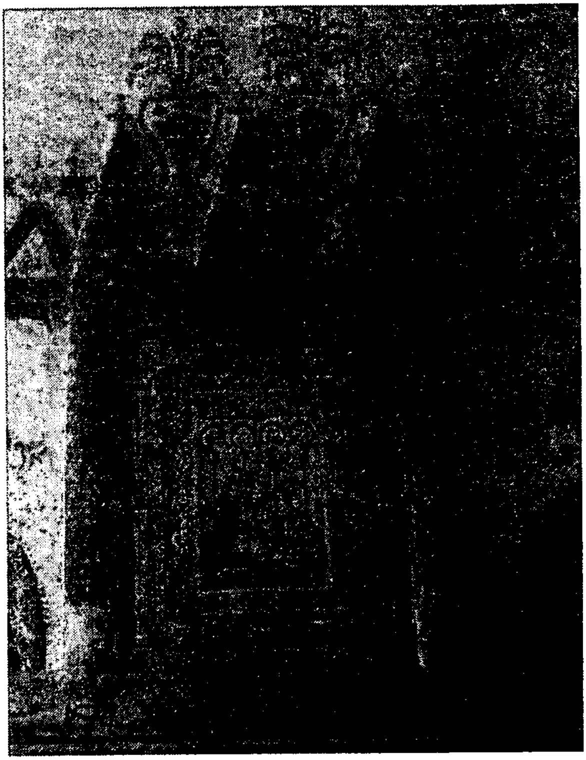

نموذج للشباك الغدامسي من أهم معالم العمارة الغدامسية وفنون الديكور .

إبراهيم عبدالجليل الإمام

كاتب وقاص وروائي وباحث تاريخي ..

من مواليد جوهرة الصحراء غدامس عام 1970 م ..

خريج كلية تقنية الطيران والارصاد الجوية ..

نشر قصصه في صحف مختلفة منها صحيفة العرب اللندنية وصحيفة توفرضا ، صحيفة غدامس ، صحيفة الحقيقة ، صحيفة الأيام ، صحيفة المختار ، صحيفة الأسبوع ، صحيفة قورينا ، صحيفة الناس ، صحيفة صناع الكلم ، صحيفة فسانيا ، صحيفة أخبار اجدابيا ، كما نشر انتاجه القصصي في العديد من المواقع الالكترونية المتخصصة .

صدر له :

قطرات من ذهب

الآم وآمال

جمهورية العسل

سلطان يوم الماء

قصص وأساطير

قصص ومواقف

مجموعة قصصية

قصة مصورة

عمر يوسف الحويني

رسالة من الرجل الميت

لها طلع نضيد	قصة مصورة
تحرير غسوف	قصة مصورة
رسالة من الرجل الميت	رواية
الشاغت	رواية

قريباً :

كنز الاسلاف	رواية
المطبات	من الادب الساخر
قطط تلتهم ذاتها	رواية
أشليد	رواية
آيت انج	قصة
آيت أدّا	قصة
الشاغت	قصة مصورة
أمم امثالنا	مجموعة قصصية
بوابة الصحراء	قصة مصورة
المثلث	قصة مصورة

إبراهيم عبدالجليل الإمام

مواليد جوهرة الصحراء غدامس

قاص وكاتب وباحث تراثي

" لا أخفي عليك أن الكثير من الزُّوَّار ينتابهم مثل هذا الشعور الغامض .. فما الشيء الذي أوحى لك هذا الغموض ؟ " .

" هندسة المدينة ودروبها المسقوفة، فهي المدينة الوحيدة في العالم المغطَّاة بالكامل، يوحي ذلك بان المكان مغلَّفٌ بالأسرار، كما أن طرقها الملتوية الكثيرة والضيِّقة تضيِّق عليك تفكيرك ويحصره في أماكن ضيِّقة يضفي على الداخل هالةً من الغموض والأحاجي، كما أشعر كان واحتكم هذه صممت لتكون كلعبة الدهليز .. عليك أن تجتهد كثيرًا كي تتمكَّن من حل هذه الأحجية الكبيرة "

$5